لحظات فاصلة

مجموعة قصصية

تأليف

نادر السعيد

obeikan.com

طبعة ٢٠١٧

السعيد، نادر،١٩٧٥-

لحظات فاصلة/ يوميات مسعف بين الحياة والموت: قصص/ نادر السعيد –الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

١٣٦ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٧ ٤٦١ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة

٢- السعيد ، نادر-١٩٧٥- المذكرات

٣- الانقاذ ٤- الاسعاف ٥- الاسعافات الاولية

أ -العنوان ٨١٣,٠١

obeikan.com

لحظات فاصلة

مجموعة قصصية

تأليف

نادر السعيد

obeikan.com

الكتاب : لحظات فاصلة

المؤلف : نادر السعيد

الغلاف : DARAJ

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضوا مجلس الإدارة

المشرف

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/١٩٠٤١

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٦١-٧

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

obeikan.com

إهداء

تعـودت أن أهـدي كل أعمالـي إلـى أمـي الحبيبـة، ولكننـي أقـول هنـا:

أمي الحبيبة تقبلي تحياتي وأستأذنك

أن أهـدي كتابـي هـذا إلـى دولـة الإمـارات الحبيبـة، وإلـى «دانـة الدنيـا» حبيبـة قلبـي دبـي،

وإلي مؤسسة دبي لخدمات الإسعاف بكل من فيها.

شـكر خـاص للأسـتاذ حسـام حسـن صاحـب فكـرة الكتـاب مديـر أطلس للنشـر والإنتـاج الإعلامـي

نادر السعيد

obeikan.com

obeikan.com

تقديم

تتوالى الحوادث في ذاكرة الإنسان، الذي يريد في ساعته أن ينجز المطلوب منه وظيفيا، أو فنيا أو مهنيا، لأن الوقت له ثمنه، وقد يكون غاليا في حال التأخر أو الإبطاء، وتحديدا عندما يكون لإنقاذ نفس، أو إسعاف مريض، لأن الحالات الإنسانية هي محطات في ذاكرة الإنسان، لها بقايا من مشاعر الألم أو الفرح، لأن الإنسان عندما ينجد مصابا أو ينقذ مريضا فإنه يؤدي واجبا إنسانيا نبيلا، هكذا هي حياة المُسعف، ينتظر لحظة الانطلاق لينقذ شخصا لا يعرفه أبدا، بل يعرف يقينا أنه في حاجة إلى مساعدة وعون منه، لذا يذهب إليه وكله أمل في إنقاذه.

نحن اليوم أمام مجموعة قِصص لمسعف أراد نقش مشاعره في حالات متنوعة، ومواقف إنسانية تعبر عن تدخله لإنقاذ الكثيرين من البشر، قصص تَروي حكايات ومعاناة بشر، صاغها القاص المسعف «نادر السعيد» بقلمٍ جميل حتى يصل إلى المجتمع ومنه هؤلاء المرضى والمصابين في يوم ما ليعرفوا مشاعر الآخر، ونقصد به مسعفنا «نادر» والآخرين من زملائه من المهنة نفسها... فتحية لهم جميعا.

طالب غلوم طالب مدير إدارة عمليات الإسعاف

مؤسسة دبي لخدمات الإسعاف

٢٠١٦

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

كلٌّ منّا يمرّ في حياته بمراحل صعبة، وأخرى جميلة، وتلك التي يحتاج فيها عونا من صديق، أو يكون هو عونا لصديقٍ يحتاج إلى مساعدته، فالحياة قائمة على الإنسانية التي يتكافل فيها أفراد المجتمع ويتعاونون فيما بينهم، والمسعف دائما يكون هو الصديق الذي يعمل من أجل راحة الآخرين والحفاظ علي حياتهم، وأتذكر مقولة من الاقوال الخالدة التي أومن بها وأتمني أن تطبق في كل أنحاء العالم قالها سمو الشيخ «محمد بن راشد ال مكتوم «قال: (الإنسان قبل المكان).

والأجمل من المقولة أن تجد فعلا أنها تُطبق، وتُطبق كما يجب أن يكون؛ فهنا تكمن السعادة عندك، وتشعر بأنك تعيش في أمان، ولا تخشى ما سوف يحدث؛ لأنك تجد من يخاف عليك، ويسخّر كل الإمكانيات من أجل الحفاظ على حياتك، وحياة من تعول.

وتكمن سعادتك، كفرد من أفراد قوة الإنقاذ، عندما تجد الدعم اللازم لإكمال مهمتك، وإنقاذ شخص واحد، مهما كلّف الأمر، لا يُنظر إلى جنسه ولا إلى جنسيته، ولا إلى درجته في المجتمع الذي تعيش فيه؛ لأنه في الحفاظ على حياة البشر لا فرق

obeikan.com

بين البشر، وهذا ما تطبقه حكومة دبي بخاصة، ودولة الإمارات عامة؛ لتضرب لكل العالم مَثَلا يُحتذى به في كل أرجاء العالم.

وهذا ما يحدث في كل دول العالم المتقدمة التي تفكر في كيف تحافظ على حياة البشر وكيف لها أن تنشر الأمن والأمان،بينهم ولهم.

هذا، وقد وضعت بين أيديكم مجموعة من القصص التي تُظهر الدور الذي يقوم به المسعف في أثناء يومه، وما يقابله، هو وفرق الإنقاذ والشرطة، الذين يفنون أعمارهم في الحفاظ على حياة البشر، والارتقاء بأجمل معاني الإنسانية.

أتمنى أن أكون قد استطعت أن أنقل الصور التي تحدث كما يجب، وكما حدثت بالفعل. وأسأل الله – عز وجل – أن ينال ما كُتِبَ إعجابكم، وأتمنى للجميع السلامة وكل الخير.

دمتم بكل خير، مع الوعد بأن تكون هناك أجزاء أخرى من كتابي: «لحظات فاصلة»؛ لأحكي لكم بقية القصص التي عشتها أثناء عمليات الإنقاذ التي أقوم بها، وأقابلها كل يوم، على مدار أكثر من عشرين عامًا.

سعدت بكم، وأتمنى أن أكون قد نلتُ رضاكم.

نادر السعيد

obeikan.com

المسعف والإسعاف

سيارة الإسعاف من أهم الخدمات التي توفرها الدولة والمجتمع للمواطنين، ونعرف جميعًا أهميتها؛ فنحتفظ بأرقام هواتف الإسعاف تحسبًا لأي طارئ قد نحتاج إليها فيه؛ سواء على الطريق أو داخل منازلنا. كما أننا نحترم رسالتها جميعًا، فنقوم بإفساح الطريق لها، كما يُسمح لها بتخطي الإشارات والحواجز حتى تصل إلى المهمة أو الحالة التي تقصدها بسرعة، لعل سرعة وصولها تلك تزيد من فرص إنقاذ الأرواح وعلاج المرضى والمصابين.

وتتميز سيارات الإسعاف بشكلها وصافرتها الخاصة، وهو ما يسمح للجميع بالتعرف عليها بسهولة، فلا يختلط الأمر بينها وبين غيرها من السيارات. كما أن لها أنواعًا مختلفة؛ فمنها: سيارات الإسعاف السريع، وسيارات الإسعاف المجهزة بكل الأدوات والأجهزة والإمكانيات، بل والطاقم الطبي المرافق لها، مما يجعلها أشبه بالمستشفى الميداني، بل ونجد كذلك الإسعاف الطائر والبحري ليتم إسعاف المصابين على الطرق البرية ،أو في البحر مهما بعدت الأماكن بالخدمات الطبية العاجلة وحتى نقلهم إلى المستشفيات المتخصصة.

obeikan.com

هذه هي الصورة التي نعرف بها سيارة الإسعاف في عصرنا هذا، ولكن كيف عرف الإنسان أول سيارة إسعاف؟ وأين ومتى بدأ استخدامها؟

نرى جميعنا سيارة الإسعاف وقد كتب عليها «أمبيولانس- ecnalubmA»؛ وهي كلمة ضمنية المعنى مأخوذة من الكلمة اللاتينية «أمبيوليير» وتعني (الحركة)، وبمعناها الضمني تشير إلى الإسعاف المتحرك.أما بدايات استخدام سيارات الإسعاف فقد كانت مرتبطة بصورة لصيقة بالحروب التي عانتها البشرية على مدار تاريخها الطويل، حيث تم رصد عربات الإسعاف في أميركا -خلال الحرب الأهلية الأمريكية- لنقل المصابين والجرحى، كما تم رصدها في الحرب الفرنسية الروسية عام ١٨٧٠م، كما قدمت سيارات الإسعاف خدمات جليلة الفائدة للمصابين في الحرب التركية مع الصرب. رغم هذا فإن الاستخدام الأول لسيارات الإسعاف بدأ منذ عصور قديمة قد تصل للقرن الرابع عشر الميلادي، وتحديدًا في عام ١٤٨٧م، حيث كان الأسبان هم أول من استخدموا فكرة سيارة الإسعاف من خلال العربات التي تجرها الخيول،وذلك لإسعاف ونقل المرضى، وتناقلت الشعوب بعد ذلك فكرة الإسعاف حتى صارت جزءًا ثابتًا من الخدمة الطبية التي يقدمها المجتمع والدولة للمواطنين في السلم والحرب.

obeikan.com

وتقدم سيارة الإسعاف خدمات جليلة للإنسان منذ عرفها؛ سواء للمرضى أوالمصابين، في السلم أو الحرب، وتحظى باهتمام بالغ -على مستوى وزارات الصحة والمنظمات التي تهتم بها- بصورة جعلت أدواتها تتطور بشكل مذهل وتُزوَّد عرباتها بأحدث تكنولوجيا؛ سواء من جهة النقل أوالأجهزة الصحيَّة أوالكفاءات الطبية، بالصورة التي ترفع من درجة كفاءتها وتزيد فرص تقديم خدماتها للمرضى والمصابين.

بعد أن تعرفنا على الإسعاف وتاريخه في نبذة مختصر. فلنتعرف الآن على ما يحدث أثناءإسعاف المصابين، وما يحدث داخل سيارة الإسعاف، ولنتعرف على المخاطر التي تحدث للمسعف أثناء القيام بذلك.

كلنا يرى سيارة الإسعاف وهي تنطلق بأقصى سرعة لمحاولةإنقاذ روح ما والحفاظ على حياة الموطنين مهما اختلف جنسهم أو لونهم أو عرقهم. والمسعف شخص عادي، لكنه اختار هذه المهنة الشاقة المرهقة نفسيًّا قبل أن تكون مرهقة جسديًّا، وترك أهله وبيته من أجل الصراع للإبقاء على حيوات الناس. إن الحياة تعطي كل شخص أهمية من خلال المكان الموجود هو فيه،فعامل النظافة يتعب من أجل راحة الناس، وعامل الزراعة هو مَنْ يقوم بصنع الجمال الذي نراه في الشارع، فلا تُحقّر من

obeikan.com

قيمة إنسان مهما كان، فكل البشر سواء، وربما يكون شخص بسيط جدًّا، قادرًا على الحفاظ على حياتك أنت أو أبيك أو أمّك أو أخيك.

نعود إلى منقذ الأرواح (المُسْعِف)، فلنذهب معًا في رحلة لنتعرف عليه عن قرب؛ فنعرف ماهي حياته، وما عمله الذي يقوم به، وهل هو عمل يستحق التقدير والاحترام أم لا.

أحاول في كتابي هذا تسليط الضوء على المسعف أو رجل الإسعاف، أو المنقذ كما يُطلق عليه في معظم البلدان. هذا الشخص مثله مثل رجل الإطفاء الذي يلقي بنفسه داخل النار حتى ينقذ شخصًا من الموت، وربما انتهى هو ضحية لذلك. وأحاول هنا أن أدخل عربة الإسعاف معه؛ لأتعرف على ما يدور في يومه، وما عمله الذي لا يعرفه أحد عن قرب.فنحن نرى عربة الإسعاف وهي تنطلق في الشارع بأقصى سرعة ممكنة ولا نعرف ماذا يدور في الداخل، من أين أتت، ومن مع المسعف في الداخل؛ لا نعرف إن كان طفلا أم شابًّا أم رجلا عجوزًا أم امرأة حاملا. لا نعرف إن كانت حالة قلب أو كسر أو غير ذلك، فهذا المسعف ترك بيته وحمل روحه على كفه وذهب ليقاتل من أجل حفظ الأرواح من الموت، من أجل أن يرسم البسمة على شفاه أسرة تنتظر عودة الأب من عمله، ولكنه للأسف حدث له حادث على

obeikan.com

الطريق وتأخر عن موعده ووجد من ينقذه حتى يعود إلى أهله بسلام. هذا المسعف أيضًا عنده أهل في انتظاره، وربما وهو ذاهب لإنقاذ شخص ما يتعرض هو لحادث ولا يجد من ينقذه. فحياة الكثيرين منا تتوقف على لحظات يلعب هذا المسعف دوره كاملا فيها، وهنا يكون التميز، فإن طبيب المستشفى يعمل وسط كل معداته، وكل الأدوية التي يحتاج إليها تكون تحت يده، ولكن هناك فارقا كبيرا عندما تكون في صراع لإنقاذ شخص من بين براثن الموت بأجهزة بسيطة في الشارع،دون معدات كافية لإنقاذ هذا الشخص، وتتعامل أنت مع المصاب بكل احترافية للحفاظ على روحه. ما هذه القوة الجبارة التي تتمتع بها أيها المسعف! توقف نزيف شخص كاد فقدان الدم يقتله، وتعطي له ما يعوضه عن الدم المفقود، وإذا كان مصابًا في عموده الفقري تفعل المستحيل للحفاظ على ظهره حتى لا يحدث شلل لجسمه، فيعيش ما تبقى من عمره مشلولا. وهذا الطفل الذي تعرض لضيق في التنفس حيث إنه على غفلة من أمه ابتلع شيئا غريبًا دخل إلى مجرى التنفس، وأنت تحاول بكل الطرق الحفاظ على حياته، وتنجح في ذلك بفضل الله.إنك عظيم أيها المسعف، ولكن، أين أنت وسط مجتمع لا يعرف من أنت؟ مجتمع يعتقدأن مهمة الإسعاف هي حمل الناس داخل سيارة الإسعاف وإيصالهم إلى المستشفى،وكأنه

لا فارق بين المسعف وسيارة الأجرة!إن الإسعاف ودوره لا يقل في الأهمية عن رئيس الجمهورية وسط موكبه؛ لأن الإسعاف هو من ينقذ رئيس الجمهورية نفسه، حتى طبيب المستشفى معرّض في أي وقت للإصابة بحادث أو وعكة صحية، ويتصل برقم الإسعاف حتى ينقذه المسعف، هذه المهنه الشاقة التي لا يعرفها أغلب الناس هي الحفاظ على الأرواح، ووجود الإسعاف في داخل منطقه ما يعبر عن الأمان ويعطي روحًا للمكان.

لم أكن يومًا من الأيام أرى نفسي فى هذا العمل، ولم أتمنه ولم أحلم به، ولكن أبي هو من صنع حياتي، وقرر أن أدخل معهد التمريض، وكان رأيه أن هذه المهنة سأعمل بها مباشرة ولن أجلس يومًا واحدًا فى البيت، فقلت له إنني لا أريد أن أعمل ممرضًا،فقال لي:»جرب هذا المكان قبل أن تحكم عليه». ودخلت. وكنت لا أرى نفسي في هذا المكان، ولكنني بعد فترة اندمجت فى الدارسة، ووجدت أنه عمل عظيم، وهو مساعدة الناس وتخفيف الآلام، فقررت أن أكمل الطريق وأن أرضى بهذا العمل وأنا فرح من قلبي، وأنهيت الدارسة وتم تعيني في الإسعاف، وهنا كانت المفاجأة التي لم أتوقعها؛ لقد تغير الوضع تمامًا،فبعد أن كنت خلال فترة التدريب أعمل داخل المستشفى أصبحت أعمل الآن خارجها، والفرق كبير جدًّا؛فداخل المستشفى كنت محاطًا بأجهزة

obeikan.com

وأدوية، وأعمل وأنا مطمئن، لأنني لست وحدي ولست صاحب القرار. ولكن هنا يختلف الوضع؛فالإسعاف يعني قرارًا، يعني وعيًا تامًّا لما يحدث حولك،يعني عدم التردد في اتخاذ القرار.فأنا أصل مكان الحادث لأجد أناسًا محاطين بدماء وأعضاء بشرية هنا وهناك، وبلاغات فى المنازل، وأمًّا تصرخ من الألم، وسيدة أخرى تعثرت في الولادة وتصرخ من الألم، وهذا المنزل به حريق وبشر قد تفحمت بعض أعضائهم، ما كل هذا!؛أنا سأعمل فى كل هذا! ليس لي غير الله.

وبدأت الرحلة، وقررت أن آخذ تخصصًا في الحوادث والطب الطارئ، وهنا بدأت أندمج في هذا العمل الشاق؛ العمل الذي لم أحلم به أو أرَ نفسي فيه يومًا، ولكن المفاجأة أنني وجدتني الشخص المناسب في المكان المناسب؛ أنا هذا الشخص،أنا هذا المسعف الذي يجرى هنا وهناك،أنا هذا المسعف الذي يرسم البسمة على وجوه من حوله،أنا هذا المسعف الذي يبكي عندما يسبق وصوله قضاء الله، أنا هذا المسعف،أنا من يسابق الوقت حتى يصل قبل الوقت المناسب لعمل الشيء المناسب في مكان غير مناسب.

سوف أذهب معكم من خلال كتابي هذا لبعض القصص التي حدثت معي، وكلها من الحياة، من داخل البيوت، ومن الشوارع، من داخل الشركات ومن أماكن العمل، من على شواطئ البحر،

وحتى من داخل البحر سوف ترون معي ما لم تروه حتى في أعظم أفلام هوليود، سوف تبكون معي على شخص أخذه الموت بطريقة غريبة، وستبتسمون عندما تجدون شخصًا نجا من الموت باحترافية من المسعف الذي ضحى بنفسه من أجل أن يعود أب لأبنائه وابن لأمه.

تعالَ معي نبحر في عالم الإسعاف الذي لا يعرفه أحد، وأريد أن أوضح أن زمن الاستجابة -وهو مقدار الوقت الذي يستغرقه المستجيبون للوصول إلى مسرح الحادث بعد تفعيل نظام الاستجابة لحالات الطوارئ، ووفقًا لطبيعة حالات الطوارئ- فإن الاستجابة السريعة كثيرًا ما تكون عنصرًا أساسيًّا في نظام خدمات الطوارئ وإنقاذ المصابين، ويعتمد الإسعاف على سائقين محترفين ذوي خبرة كبيرة بالطرقات والأماكن، ونجاح المسعف لا يكون إلا بوجود سائق محترف يخاف الله، ومن خلال عملي في هذا المجال زمنًايقارب العشرين عامًا اخترت بعض القصص الواقعية التي حدثت معي أثناء عملي، وليس هذا معناه أنني قابلت هذه الحالات فقط، لكنني جمعت لكم الأفضل، ووجدت أن أشرك القارئ معي فيما يحدث داخل سيارة الإسعاف وخارجها، وفيما يحدث مع رجل الإسعاف في يومه.

مسعف مع مرتبة الشرف

●●●

obeikan.com

بين الحياة والموت

انتظر الشاب اليافع الأبيض الوسيم مع باقة من الورود على باب المطار، وبلهفة وشغف وترقب، كاد أن يُهلك من كثرة الشوق إلى أمه، وكاد القلق يقتله،ذهب إلى موظف الاستقبال في المطار وسأله أكثر من عشرين مرة عن الطائرة القادمة من السعودية حتى قال الموظف له في استغراب:»ماذا دهاك يا أخي!اهدأ وتحلَّ بالصبر، عندما تصل الطائرة سيظهر على الشاشة». وبعد ما يقرب من ساعة من التأخير هبطت الطائرة وارتاح قلب الشاب قليلا، لأنه سوف يرى حب العمر وحبيبة القلب أمه التي حجز لها من القاهرة إلى السعودية لأداء فريضة الحج، وبعد الحج تأتي إليه في زيارة قصيرة فتمكث معه بضعة أسابيع في البلد العربي التي يعمل بها حسب اتفاقهما.

وقف الشاب ينظر في وجوه كل الخارجين من باب الخروج عسى أن يجد أمه بين الواصلين، مضى على وصول الطائرة ما يقارب الساعة وعشر دقائق، وعلى الجانب الآخر كان هناك شيء غريب يحدث؛ اتصل كابتن الطائرة بإسعاف المطار لإبلاغه أن هناك سيدة في الخمسينيات من العمر على متن الطائرة تعاني من أزمه قلبية حادة، وأن طبيب الطائرة يحاول إسعافها، وأوصى

obeikan.com

بتحضير سيارة إسعاف على باب الطائرة، ومازال الشاب الحائر في ساحة الانتظار يترقب وصول أمه الحبيبة. تحركت سيارة الإسعاف للانتظار عند سلم الطائرة، وصعد المسعفون إلى سلم الطائرة بكامل التجهيزات الطبية اللازمة على حسب وصف الحالة، والشاب ما زال بين شرطة المطار لسؤالهم «لماذا خرج الجميع وأمي لم تخرج، هل هناك شيء يحدث؟ أرجوكم أبلغوني ماذا يحدث؟»، ويسحب الشاب هاتفه ويتصل بأخيه في السعوديه، ويقول له:»هل أنت متأكد من أن أمك ركبت هذه الطائرة؟» فيقول أخوه:»نعم،أنا بنفسي أوصلتها إلى الطائرة، ماذا حدث؟أخبرني ماذا حدث؟».

تحرك طاقم الإسعاف مسرعًا خارج الطائرة ومعه الأم وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وانطلقوا إلى المستشفى مسرعين بأقصى سرعة ممكنة، ومازال الشاب حائرًا لا يعرف أين يذهب، وسيارة الإسعاف تزيد سرعتها إلى المستشفى، وهنا وصل الخبر إلى ضابط المطار بأن السيدة ش.م.س.قد نُقلت إلى المستشفى، وكان على الضابط أن يبلغ الابن الحائر بهذا الخبر الصادم، تحدث الشاب إلى الضابط عن مدى تعلقه بأمه وشوقه إليها،لكن لا مفر من إبلاغه.

obeikan.com

وصل الإسعاف إلى المستشفى في محاولة لإنقاذ السيدة التي لا يعلم أحد قصتها، ومن أين أتت، وماذا حدث لها؟ ودخلت الأم على الفور إلى غرفة الإنعاش،حيث كانت كل المحاولات من الأطباء لإنقاذها. هنا أبلغ الضابط الشاب:»سيدي،أنا أعتذر منك، لقد نُقلت أمّك مع سيارة الإسعاف إلى المستشفى لأنها تعاني من أزمه صحية بسيطة، فأرجو منك أن تذهب إلى هناك»،نزل الخبر الصادم على الشاب كالصاعقة لم يتمالك نفسه ووقع على الأرض مغشيًّا عليه، وأُحضر الإسعاف لهذا الشاب الذي كاد قلبه أن يتوقف من هول الخبر، وهنا خرج طبيب العناية يقول:»البقاء لله، لا يوجد نبض، توقف القلب تمامًا». وكان الإسعاف الآخر قد وصل إلى المستشفى نفسه بهذا الشاب الذي لم يُقدر له أن يرى أمه التي غاب عنها لمدة ستة أعوام، ولم يعرف بعد عن خبر وفاتها.

تعافى الشاب رغم أن الألم مازال يعتصر قلبه، وحاول أن يتوازن ويلحق ما فات منه، ووقف على قدميه وأخذ يبحث عن أمه بين المرضى ويصرخ ويقول:»ألم تأت أمي إلى هنا؟»، وهو لا يعلم أن أمه ترقد في الغرفة المجاورة جثة هامدة، وكان يصرخ ويقول:»أمي، أين أنت؟ أين أنت؟ انتظرتك كثيرًا،ألم تقولي لي أنك تشتاقين إليّ أمي؟ ماما، أين أنت؟أنا كنت في انتظارك عند

المطـار حتـى أهنئـك بفريضـة الحج،أمـي، حبيبـة القلـب، أيـن أنـت؟».
وهنـا ظهـر المسـعف الـذي أقـل الأم مـن داخـل المطـار وذهـب وهـو يبكـي بـكاء حـارًّا إلـى الشـاب، وأخـذ بيـده، ونظـر إليـه الشـاب، وقـال له:»أمـي بخيـر، قـل لـي أنهـا بخيـر، أيـن هـي؟أريـد أن أراهـا.»، أخـذه المسـعف وذهـب إلـى غرفـة العنايـة المركـزة، وقـال لـه:»للّه مـا أعطـى وللّه مـا أخـذ، فعلنـا كل مـا بوسـعنا، سـلم أمـرك للّه». صـرخ الشـاب بعلـو صوتـه صرخـة هـزت أرجـاء المستشـفى:»أمي، لاااا».

بعـد هـذه المـدة يلتقـي معهـا كـي يودعهـا، وبعـد هـذا الانتظـار يجـد أمـه جثـة هامـدة لا تتحـرك، وكان هـذا اللقـاء الـذي لـم يكـن في الحسـبان.

●●●

obeikan.com

الثراء القاتل

لم يدرك الرجل الثري صاحب الجاه والعز والسلطة إلى أي مدى من الانحراف قد وصل ابنه الشاب المدلل الذي لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره.

كنا قد تلقينا في الساعة الرابعة عصرًا هذا البلاغ الغريب الذي كان ينادي فيه ضابط الاتصال ويصرخ:»أسرعوا، أسرعوا»أنا لم أعتد على أن يخطف الموت مني أحدًا من قبل، فأنا أصارع الموت، وبفضل الله يكتب لي في كل مرة الانتصار وإنقاذ ضحية من بين براثم الموت قبل أن يفتك بها، إلا في هذا البلاغ الذي وصلت إليه بفضل هذا السائق الماهر في وقت قياسي لم يتجاوز الدقائق العشر، وإذا بحارس أمن الفندق صاحب السبع نجوم الواقع على شاطئ البحر ينادي:»أسرعوا، لقد فارق الشاب الحياة»، وعندما صعدت إلى الطابق الثاني والعشرين، حيث كان الشاب يرقد ممددًا إلى جوار السرير في ذلك الجناح الفخم، وكان حول الشاب كل ما لذّ وطاب، ولكن ما الفائدة، اقتربت من الشاب في أقصى سرعة وأخذت أتفحص جسده الذي كان مثل لوح الثلج من برودة جهاز التكييف، قمت بكل الإجراءات اللازمة لإسعافه؛ أوصلت جهاز صدمات القلب، كان المؤشر يقول بأنه لا يوجد نبض، حيث

obeikan.com

إن الشاب قد فارق الحياة منذ فترة قبل أن يتفقده أمن الفندق. قمت بكل جهد لدي أنا ومن معي،فعلي أن أفعل أي شيءلإنقاذه، ولكن باءت كل المحاولات بالفشل، لقد ذهب هذا الشاب بلا عودة، لقد أسلم الروح إلى باريها، ولكن كتب اللّه له سوء الخاتمة،فلقد اكتشفت أثر حقنة المخدر في ذراعه، ورائحة الخمر تخرج من فمه، ورفعت رأسي أنظر حولي لأكتشف أن حولي كل ما تشتهيه الأنفس وتلتذ به الأعين، لقد تناول هذا الشاب جرعة زائدة من الدواء المخدر فأودت بحياته، يا حسرة قلب أمّك وأبيك! وبدأت أبحث عن هوية الشاب فوجدت بطاقته في جيبه الصغير الذي كان يعج بالمال، وكانت المفاجأة الكبرى لي، فأنا أعرف هذا الاسم،إنه من المشاهير الأثرياء،إنه صاحب الفندق الذي مات فيه ضحية البذخ الزائد على الحد، رفعت سماعة الهاتف واتصلت بمديري وشرحت له ما حدث، وقلت له اسم الشاب واسم والده، وهو الخبر الذي نزل على مديري كالصاعقة، وسألني أكثر من مرة: «أمتاكد أنت من الاسم؟!» قلت: «نعم هو، أقسم لك» قال لي:»هل مات حقًّا؟ هل قمت بعملك؟ أليس هناك أمل ولو بنسبة واحد في المئة؟ «فقلت:»لا سيدي، البقاء للّه».

لم يمضِ وقت طويل حتى أخذ الفندق يعج بالشخصيات الكبيرة في البلد، وكان مديري من بين هؤلاء، وأخذ كل منهم

يسألني عما حدث،يذهب شخص ويأتي آخر، وكل شخص يسأل: «هل أعطيت له أي دواء؟» وأنا في كل مرة أنكر ذلك، وأقول أنه قد توفى قبل وصولنا بكثير، وكان الجميع ينتظر لحظة وصول والد الضحية مفجوع القلب؛ الأب المسكين.

هذا المنظر الذي لن أنساه ما حييت؛ منظر الأب وهو يجلس على ركبتيه ويتحدث إلى ابنه الذي يعلم أنه قد مات، ويقول والبكاء يخنقه: «ابني الحبيب،ألم تتحدث إلي اليوم في الهاتف وتقول إنك قد أنهيت إجراءات الحجز حتى نذهب إلى بيت الله الحرام لأداء العمرة؟ وكان موعد سفرنا غدًا، قم يا ولدي حتى نذهب معًا إلى هناك، لماذا تركتني وذهبت؟ ابني حبيبي، قم يا ولدي، قم، أمّك في انتظارك في المنزل» كل هذا وأنا أبكي على منظر هذا الأب المسكين الذي قطع قلبي، وهنا تجمع كل الرجال الحضور حول الأب لمواساته، وأخذت أنا جانبًا وحدي بعيدًا عنهم وأنا أبكي؛ أبكي من منظر الأب، وأبكي على احتمال أنني لو كنت وصلت مبكرًا لكنت أسعدت هذا القلب بحياة ولده، ولكن الله جل وعلا هو من يقرر المصير، ومصير هذا الشاب قد تحدد،أنا لم أخسر مريضًا من قبل في حياتي، ولكن الله عنده كل شيء بمقدار.

obeikan.com

اللهم إني لا أسالك رد القضاء، هذا هو عملي، يومًا أفرح بإنقاذ شخص من الموت، وعامًا كاملا أظل حزينًا على فقدان شخص لم أكن أتمنى أن يموت،وحتى بعيدًا عن مجال عملي فهذه هي الحياة، وقد قدر الله لي أن أكون مسعفًا مع مرتبة الشرف.

●●●

obeikan.com

مات لأنه عاش

في الصباح الباكر، وقبل طلوع الشمس، على إحدى الطرق السريعة الواصلة بين مدينتين في إحدى البلاد،حيث الضباب الحالك حتى لاتكاد ترى أصابع يدك،أخذت أنا وزملائي نرتب لتناول الإفطار، وذهبنا معًا لهذا المطعم الواقع على بداية الطريق السريع الذي اعتدنا أن نشتري منه طعام الإفطار، وطلبنا من عامل المطعم أن يحضّر لنا الطعام حيث سنأخذه ونعود إلى نقطة التمركز التي نغطي منها ذلك الطريق السريع،والذي كان عبارة عن طريق واحد للذهاب والإياب، ولم نكد نتحرك من أمام المطعم إلاوجهاز اللاسلكي ينادي ببلاغ على الطريق السريع: حادث بين سيارتين؛ سيارة نقل كبيرة وسيارة بيجو لنقل الركاب. على الفور تحركنا إلى مكان البلاغ، وكان الضباب يحول بيننا وبين الوصول إلى مكان الحادث، ولكن سائقي هذه المرة كان محترفًا وتغلب على الوضع وقرر أن يتحدى الطريق حتى ننقذ ما يمكن إنقاذه، ورغم الخطورة الشديدة التي تعرضنا لها، وبفضل الله، تمكنا من الوصول إلى مكان الحادث، وكانت الفاجعة الكبرى، وصلنا إلى المكان ونزلنا وحملنا أغراض الإنقاذ التي اعتدنا عليها، ولكن كانت المفاجأة أكبر مما نتصور، لقد حال بيننا وبين الوصول

obeikan.com

للحادث بحر من الدماء يغطي الطريق بأكمله، الدماء كانت كثيرة جدًّا لدرجةأنها منعتنا من الوصول إلى مكان المصابين، وطلبنا من الدفاع المدني التدخل لغسل الطريق بالماء حتى نستطيع الوصول، ووصل الدفاع المدني الذي كان قريبًا من موقع الحادث، وبدأ بضخ الماء على الطريق مثلما فعلت قواتنا في خط برليف، وكنت أنا أمشي بحذر خلف اندفاع الماء الذي أمامي، وكنت أتصور أنني سأجد حادثًا عاديًّا كباقي الحوادث التي تعودت عليها طوال حياتي، ولم يكن في حسباني أنني سأجد سيارة وقد تحولت لقبر جُمع فيه نساء وأطفال ورجال وشباب، لقد كانت السيارة البجو التي اصطدمت بالسيارة النقل من الخلف، وكانت السيارة النقل التي تحمل حديدًا مسلحًا للبناء تسير بسرعة بطيئة جدًّا على جانب الطريق،في حين انطلقت السيارة البجو مسرعة جدًّا، وحاول سائقها أن يتجاوز سيارة أمامه ففوجئ بوجود سيارة أخرى في المقابل، وحاول أن يعود إلى طريقه، وهنا كانت المفاجأة، وجد السيارة النقل أمامه،فلم يجد مفرًّا من الاصطدام بها، وحيث إن الحديد المسلح كان بارزًا من الخلف، فقد دخلت السيارة البجو بأكملها في داخل الحديد حتى وصل الحديد إلى آخر السيارة وخرج من الجهة الأخرى،أي من زجاج السيارة الخلفي، وعندما ذهبت لأفتح باب السيارة على أمل أن أجد أحدًا من الأحياء

أستطيع إنقاذه ومساعدته على الخروج كانت الفاجعه الكبرى، لقد وجدت جميع الركاب وقد التصقوا بكراسي السيارة، لقد اخترق الحديد أجسامهم بالكامل، ولا أستطيع أن أصف المنظر الذي وجدته لبشاعته فلا أحد ينطق بالمرة أو يتألم أو يستغيث.

حادث لن أنساه ما حييت، وكان زميلي في الجهة المقابلة لي يتحدث إليّ؛ ونقول معًا: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

ولكن كان ثمة مفاجأة؛ لقد قال زميلي: «انظر في آخر السيارة، هناك شخص كبير في العمر لم يصل الحديد إليه»، وعلى الفور ذهبت أنا وزميلي إلى مؤخرة السيارة، وحاولنا مع رجال الإنقاذ فتح الباب الخلفي (الحقيبة) وأخرجنا هذا الشخص الذي كان لا ينطق بكلمة، وبدأت أتحسس النبض، هناك نبض،إنه حي، وعلى الفور بدأنا في إسعافه حتى نخرج ولو بواحد من بين هذه الجثث على قيد الحياة. استعاد وعيه،وتهللت من الفرح أنا وزميلي، ونقلناه فورًا إلى داخل سيارة الإسعاف، وتحدثت إليه، وقال لي إنه يريد أن يشرب الماء، أحضرت إليه الماء وشرب، وبعد أن شرب أراح رأسه على السرير مرة أخرى وغاب عن الوعي، صرخت فيه أن يا فلان الذي حتى لم أعرف اسمه، وقلت بعلو الصوت: «أرجوك تماسك، تمسك بالحياة،أنا هنا من أجلك»، ولكن لم يستجب لي، وفضّل أن يلحق بمن كان معه من الركاب حتى يرافقهم في الموت

obeikan.com

كما رافقهم في سيارة واحدة، لقد توقف قلبه عن العمل، هل هذا من الصدمة التي تعرض لها حيث خرج إلى الحياة بعد أن رأى الموت بعينيه؟ هل رفض الحياة فمات لأنه عاش؟

●●●

obeikan.com

بين العقل والجنون

هذه المرة أتى إليّ بلاغ من نوع خاص؛ أسرة محجوزة داخل منزل في منطقة شعبية، الأم تستغيث بالشرطة، أغيثونا نحن بين الحياة والموت، لقد أتى إليّ البلاغ كما هو،بلا نقصان ولا زيادة، ذهبنا مسرعين إلى المكان المحدد من قبل غرفة العمليات، لأجد تجمعا من الناس حول المنزل يحول بيننا وبين الوصول إلى مكان الحادث، لقد ظننت أن هناك شيئًا كبيرًا يحدث، فقلت من الأحسن أن أكون على استعداد حين أقابل أي مصاب، وأحاول إنقاذه فور الوصول إليه، وبصعوبة بالغة وصلنا إلى باب المنزل ولله الحمد، ووجدنا المفاجأة الكبرى: شاب في ريعان شبابه يحتجز أسرته بالكامل داخل المنزل؛ أمه وأباه وأخواته البنات، شاب يرفع على أمه السيف ويدفع أباه بقدميه ويمسك رقبة أخته البنت الصغيرة ويحتجزهم داخل غرفة في المنزل.

بينما تجمع رجال الشرطة في الخارج مكتوفي الأيدي، لا أحد يتحرك ولا أحد يستطيع اقتحام المنزل خوفًا على أفراد الأسرة. تحدثت إلى الضابط وقلت له:»كيف حدث ذلك؟ وما قصة هذا الشاب؟ وهل هو معروف لديكم؟» قال:»نعم. هذا الشاب كان مسجونًا قبل عدة أعوام بسبب تعاطيه للمخدرات، وأثناء فترة

obeikan.com

سجنه تم علاجه من المخدرات، وبعد خروجه من السجن بعدما أنهى فترة العقوبة تم وضعه تحت المراقبه، وضُبط أكثر من مرة، ولكن كان يخرج بعد عدة أيام بضمان مالي، ووفرت له الحكومة عملا كي يعتاش منه ويصبح إنسانًا سويًّا نافعًا للمجتمع، وكان كل فترة يزور أحد مراكز علاج الإدمان، ولكن منذ عدة أشهر امتنع عن الذهاب للعمل، وتم فصله، ولم يعد يذهب إلى مركز العلاج مرة أخرى، وتفاجأنا جميعًا بما يحدث اليوم، وعندما جاء البلاغ إلينا وشاهدت العنوان عرفت أنه هو هذا الشاب». قلت للضابط:» كم عمره؟ «قال:»صغير جدًّا، لم يبلغ الخامسة والعشرين من عمره».

كانت كل محاولات اقتحام المنزل من قبل رجال الشرطة تبوء بالفشل الذريع، حتى قال لي الضابط إنه اتصل لطلب القوات الخاصة لاقتحام المنزل، كانت الأم في هذه الأثناء محتجزة داخل المنزل من قبل ابنها، تتحدث إلى الضابط في الهاتف، الحمد لله أن الابن لم يمنع أمه من التحدث، كانت الأم تقول للضابط أن الابن يريد شيئًا من اثنين:إما المال أو الدواء،وقالت إنها تملك المال وترفض أن تعطيه إياه. قال الضابط:»من فضلك سيدتي، أعطي له المال واتركيه يذهب، ونحن سوف نقوم بالقبض عليه». أخذ الابن المال من الأم ولكنه رفض الخروج لأن الشرطة في الخارج،

obeikan.com

كان الضابط ذكيًّا جدًّا واستطاع إقناع الجميع بالذهاب والبقاء بالقرب من المنزل، حتى سيارات الشرطة أمرها بالذهاب من هذا المكان، كانت الأم تقول للضابط إن ابنها به جرح كبير في اليد، وجرح في أعلى الذراع، بعد حوالي ربع ساعة من الانتظار أمام المنزل -ولكن في مكان لا يستطيع أن يراه أحد- بدأ الهدوء يحل على المكان، وكانت الشرطة منتشرة في كل مكان حول المنزل، ولكن دون أن يراها أحد، كان تعاون الجيران مع أفراد الشرطة تعاونًا مثمرًا وقويًّا جدًّا، مما سهل الأمر على رجال الشرطة؛ فسمح الجيران للشرطة بالاختباء داخل منازلهم خلف الأبواب والنوافذ، كانت الأم لا تزال على اتصال مع الضابط، قالت له إن الابن يستعد للخروج، وكان المنزل عبارة عن فيلا لها باب كبير، وكانت هناك سيارة تقف داخل الفيلا عند الباب، وفجأة انفتح الباب وبدأت السيارة تخرج من داخل البيت، وكان بها شاب أسمر اللون يبدو عليه التعب الشديد، يبدو أن النزيف قد أتعبه وزاد من ضعف قواه، أعطى الضابط الأمر للجميع بالتحرك عندما يكون الشاب في منتصف الشارع، وفجأه زاد الشاب من سرعة السيارة لأنه قد لمح سيارات الشرطة، وكان أول ما فعله الضابط أنه طلب من سيارة من سيارات الشرطة الذهاب إلى المنزل حتي لا يفكر هذا الابن في الرجوع إليه مرةأخرى، وبالفعل تم تأمين المنزل،وزاد

obeikan.com

الشاب سرعة السيارة ولكن كان التعب يضعف قواه عن المقاومة، لقد حدث مالا يتوقعه أحد حيث اصطدم الشاب بالسيارة بجدار أحد المنازل وسقط داخل سيارتة مغشيًّا عليه، وكنا نحن على مقربة من السيارة، فحملت شنطة الإسعاف وذهبت مسرعًا أنا وزميلي ومعنا النقالة، دخلت بسرعة إلى السيارة لأجد أمامي شابًّا صغيرًا جدًّا في السن،وضعيفًا جدًّا وبه جرح قطعي في يده، وجرح أكبر في أعلى الذراع ونزيف بطيء، يبدو أنه نزف كثيرًا جدًّا جدًّا، وعلى الفور قمت بربط الجرحين وإيقاف النزيف بعد أن تأكدت أن هناك نبضا في رقبة المصاب، وبسرعة كبيرة جدًّا نقلناه إلى سيارة الإسعاف، وقمت بفتح وريد وإعطاء محلول ملح معوض للدم الذي فقد، وبعد دقائق أوصلت جهازًا آخر، كان وجه الشاب شاحبًا لدرجة مخيفة،وبعد أن قمت بقياس الضغط، وجدت أن هناك هبوطاً في الضغط فطلبت من زميلي السائق أن يسرع أكثر حتى لا أفقد هذا الشاب.

كان يركب معي داخل السيارة فرد من أفراد الشرطة، لأن الشاب متهم بالاعتداء على أهله وتعريض حياتهم للخطر، طلب الشرطي مني أن يضع الحديد في يد الشاب،فقلت له إن هذا المسكين لا يستطيع الحركة، قال:»دعني أتصل بالضابط وآخذ منه الإذن» وكان الضابط بالفعل إنسانًا رحيمًا، قال:»لا تضع الحديد في

obeikan.com

يديه، وأنا خلفك بسيارة شرطة أخرى، ومعي بعض الأفراد لتأمين المكان». وصلنا إلى المستشفى ونزلت وأنزلت النقالة، وكان الشاب لا يزال غائبًا عن الوعي،فدخلنا مسرعين إلى غرفة الإنعاش، وكان كل من في المستشفى قد سمع عن الواقعة وفي انتظارنا ،فقاموا على الفور بإدخاله إلى غرفة العمليات لعمل عملية في ذراعه التي كانت بها جروح بليغة لدرجة مخيفة، الحمد لله الذي أتم لي هذه المهمة على خير،وقد جئت في اليوم التالي لأتأكد من سلامة الشاب، ووجدته في حالة جيدة والحمد لله،والتقيت مع الضابط الذي احتضنني وقال لي:»بحثت عن رقمك أمس لأشكرك على ما فعلت» قلت له: «سيدي، أنت من خطط لكل شيء، لقد أعطاك الله عقلا يستحق التقدير والاحترام، أنا من أشكرك على الحفاظ على الأرواح سيدي، وأخلع لك القبعة لذلك، لقد كان ما حدث بين العقل والجنون، تحياتي سيدي».

قال لي:»فعلا إنك مسعف مع مرتبة الشرف».

●●●

obeikan.com

obeikan.com

أجمل قتيلة

لم تستجب إلى طرق الباب العنيف من قبل حارس العمارة (البواب).

هذه الفتاة الحسناء التي تسكن داخل شقة بمفردها في إحدى البنايات المأهولة بالسكان، وسط زحام شديد فى تلك المنطقة الراقية، لقد تلقينا بلاغا هذه المرة مجهول الملامح، بلاغًا يقول إن هناك شقة مغلقة على صاحبتها ولا تستجيب،وكان ذلك بعد أن تغيبت عن العمل، وكانت تعمل في موقع مهم داخل أحد الفنادق ذات السبعة نجوم، وعندما تأخرت أثر ذلك على العمل وأرسلت إدارة الفندق للسؤال عنها في مكان سكنها بعد أن حاولوا الاتصال بها ولا مجيب، وعندما حضر زملاؤها ومعهم الحارس صعدوا إلى شقتها، أوشكوا على كسر الباب دون أن يجيب أحد، وعلى الفور اتصلوا بالشرطة التي أبلغت كل الجهات التي من الممكن أن يتطلب الأمر وجودها في المكان، وكان من بين هذه الجهات الإسعاف، وللحظ كانت هذه هي منطقة عملي هذا الشهر، وكأني موعود بالبلاغات ذات الطابع الخاص،فتلقيت البلاغ من العمليات، وعلى الفور ذهبنا مسرعين ووجدنا الشرطة قد وصلت معنا فى الوقت نفسه بالضبط، تحدثت مع الضابط المسؤول وقال إنه ينتظر إذن

obeikan.com

النيابة حتى يستطيع أن يفتح باب الشقة لأنه لا أحد يجيب من الداخل، وقلت: «وهل هناك معلومات عمّن يسكن هذه الشقة؟» قال:»بناء على ما أفاده حارس المبنى هي فتاة من جنسية ليست عربية، تعمل في أحد الفنادق، وهي متغيبة عن العمل منذ فترة، ولا تجيب على الهاتف»، وهنا كان قد وصل إذن النيابة بدخول المنزل، كنت أنا وزميلي على استعداد بكامل المعدات، وكان يدور بيني وبينه هذا الحوار؛ هو:»كم أتمنى أن يكون بلاغًا عاديًّا حتى نذهب للشارع مرةأخرى» قلت له:»كل هذا حولنا وبلاغ عادي! كيف؟ نحن أمام مصيبة، وبعد لحظات سوف ترى وتقول نادر قال لي».

جاء رجال الإنقاذ والدفاع المدني وقاموا بفتح باب الشقة، وإذا بظلام دامس لا ترى شيئًا فيه بسهوله،أشعلنا مصابيح الإضاءة والكشافات ودخلنا، كنّا حريصين على عدم لمس أي شيء خوفًا من أن يكون هناك شيء كبير،وقد كنت أسير خلف الشرطي تمامًا. كرر الشرطي الكلام نفسه للمرةالعاشرة، وقال: «أرجوكم، لا تلمسوا شيئًا هنا»، ودخل الشرطي إلى غرفة النوم، وكان ثمة ضوء خفيف يأتي من خلف ستارة الشباك، ولاحظنا وجود شيء بارز من تحت سرير الغرفة وكان ملفوفًا ببطانية؛ نصفه تحت السرير ونصفه خارج السرير.

اقترب الشرطي من هذا الشيء وأنا معه بالقرب من السرير ورفعنا الغطاء، فإذا بي أجد سيدة عارية تمامًا من الملابس، وبها سكين فى صدرها، نعم كانت السكين مستقرة تمامًا في صدرها،إضافة إلى طعنات أخرى في جسدها، في كل مكان؛في الصدر والبطن والظهر والرقبة، من الواضح أن القاتل كان يطعن بجنون، ويبدو أنه لم يتوقف عن الطعن حتى بعد موتها، بل استمر في الطعن وكأنه كان يتلذذ بذلك. جن جنون الشرطي وصرخ فينا جميعًا: «اتركوا كل شيء، هيا بِنَا نخرج خارج المنزل، هذه جريمة قتل، سوف أبلغ العمليات»، بعد لحظات لن تستطيع أن تضع قدمك في هذا المكان عند وصول الجميع سواء من سيحضر من الطب الشرعي والنيابة العامة، والمباحث والتحريات ومدير مركز الشرطة والمأمور، لا يوجد لنا دور في المكان فليس هناك مصابون، ولكن المصيبة الكبرى أننا في مثل هذه الحالات يمنع علينا مغادرة المكان قبل وصول النيابة، فلابد من سؤالنا عما حدث.

نظرت إلى زميلي مبتسمًا وقلت:»ألم أقل لك إن هناك مصيبة، أبشّرك صديقي العزيز أننا سنقضي طوال اليوم هنا». وبعد حوالي ساعتين كاملتين وصلت النيابة، دخل وكيل النيابة لمعاينة ما حدث، وتم استدعائى لسؤالي ودخلت إلى وكيل النيابة، وبدأ بسؤالي عما حدث، وقلنا ما حدث لهم بالتفصيل، وتبين

obeikan.com

بعد ذلك من خلال كاميرات المراقبة أن آخر شخص دخل الشقة هو شاب فى العشرينيات، وبعد خروجه لم يدخل أحد، وتبين من سؤال الشرطة للحارس أنه صديق القتيلة، حيث إنه كان معها باستمرار، وأكدت الشرطة أنه هو الفاعل ولكنه قد غادر البلاد بعد الحادث بدقائق، وكان الحادث بهدف السرقة لعدم وجود أي أموال أو ذهب في المكان، وكان كل شيء مفتوحًا والمكان غير مرتب، ومع كل هذا منع علينا المغادرة قبل الانتهاء من الإجراءات، ولكن ليس بيدي حيلة، فهذا عملي.

●●●

obeikan.com

سرعة الإسعاف ليست الأهم

هذا الحادث له طابع خاص في نفسي،فلقد كان بمثابة شهادة تقدير أمنحها لي عما فعلت تجاه هذه المريضة، ومهما قابلت من حوادث فلن أنسى هذا الحادث ما حييت، كان عبارة عن تحالف مابين كل وسائل المساعدة التي جمعتها أنا لمكان الحادث، كان الأمر يبدو عاديًّا في البداية قبل أن أعرف ماذا يخفي لي القدر في هذا البلاغ.

كان بلاغًا عن سقوط امرأة من الطابق الثالث، لكن السقوط لم يكن على الأرض، بل كان في مكان من الصعب الوصول إليه. أسرع سائق الإسعاف عندما سمع نداء العمليات، والحمد لله لم يكن المكان يبعد كثيرًا، ولكن كان ازدحام الشوارع يحول بيننا وبين الوصول،لكن السائق المرافق لي كان محترفًا ومخضرمًا، يعرف كيف يتعامل مع هذا النوع من الزحام، ونجاح أي بلاغ يعتمد في المرتبة الأولى على السائق، فإذا كان السائق محترفًا نجح البلاغ في دوره، فهو من يعطي لي وللمريض الأمان. وصلنا إلى موقع الحادث لنرى من بعيد تجمعًا رهيبًا من الناس كاد أن يحول بيننا وبين الوصول إلى مكان الحادث لولا تعاون رجال الشرطة معنا، نزلت مسرعًا إلى ضابط الموقع وسألته: «سيدى، ما الأمر؟»؟ «وصل إلى علمنا وجود سيدة عالقة بين البنايتين»،

obeikan.com

«من أين سقطت؟»: «من الطابق الثالث؛ أي أنها سقطت من ارتفاع حوالي سبعة أمتار»، «وكيف الوصول إلى هذا المكان؟» قال: «لا يوجد لهذا المكان لا مدخل ولا مخرج». هنا تحركت مسرعًا إلى داخل البناية، وصعدت إلى الطابق الأول، وطرقت الباب ففتح لي صاحب البيت، قلت له: «من فضلك، أريد أن أستخدم شباك الحمام أو المطبخ» فرحب واصطحبني إلى هناك، دخلت الحمام لأجد ألا طريق أمامي غير النزول من على أنبوب المياه، وحملت أغراضي وأدواتي ونزلت على أنبوب المطبخ. تفاجأ رجال الشرطة بوجودي جوار المصابة أتحدث معها، وهى تحاول أن تتحدث، ولكن كانت هناك صعوبة في ذلك، كل ما فهمته منها أنها خادمة تعمل في منزل في هذه البناية، ولظروف خاصة بها ألقت بنفسها من شباك المطبخ، لا يهمني الآن ما تلك الظروف، ولكن ما يهمني هو مشكلتها الحالية، وبعد الفحص تبين لي عدم وجود أية إصابات فى جسدها، غير أنها مصابة إصابه واضحة في العمود الفقري؛ فهناك فقرة منه بارزة خارج جسمها، ويبدو أن هناك خلعا فيها،هذه المسكينه تحتاج إلى علاج من نوع خاص. فحصت كل جسدها من رأسها إلى قدميها، وكان زميلي قد صعد إلى جواري بالطريقة نفسها التي صعدت بها، وهنا كان لابد من أخذ قرار سريع، وهداني التفكير إلى أن أطلب تدخل الدفاع المدني، حتى أتمكن من إنزال المصابة من هذا المكان المرتفع دون

أن تحدث لها أي أضرار، فكل ما عليّ الآن هو الحفاظ على العمود الفقري حتي لا تفقد هذه السيدة جزءًا من جسدها.

وصل الدفاع المدني، وكنت قد انتهيت من ربط المصابة على نقالة خاصة بالعمود الفقري حتى لا تتحرك. كنت أتوسل إلى الله أن يكون بجانبي حتى أكمل مهمتي بنجاح، كان هناك معارضون لطلبي حضور سلم الدفاع المدني، وقال لي أحد أفراد الشرطة: «أرى أنه لا يوجد داع لهذا الطلب»، ولكنني في اللحظة نفسها حصلت على دعم غرفة العمليات، لقد تحدث إليّ الضابط المناوب في العمليات وقال: «أنت المسؤول، وإن طلبت من الجميع عدم التدخل» وقال : نادر»اطلب أي شيء لإنجاح عملك مهما كان، نحن سوف نوفر لك أي شيء تحتاجه، لا عليك،أنت صاحب القرار ونحن نثق فيك وفي عملك»، بعد ذلك أظهر رجال الشرطة التعاون الجاد مع الموقف، وجاء إليَّ الشرطي ومعه رجال الدفاع المدني وسألوني عما يتطلب القيام به، وما دورهم في هذه المهمة.

كنت أنا وزميلي قد أنهينا عملنا وتبقى فقط إنزال هذه السيدة إلى الطابق الأرضي، ومن ثم سيارة الإسعاف، قلت لرجال الدفاع المدني إنه يجب علينا إنزال هذه السيدة إلى الطابق الأرضي دون حركة، فأهم شيء في هذا الأمر هو عدم حركة المصابة حفاظاً على عمودها الفقري.

obeikan.com

حملنا السيدة المصابة واتجهنا إلى سلم الدفاع المدني دون أن تهتز المصابة ولا تتحرك، وصلنا إلى السلم وصعدت أنا ورجال الدفاع المدني، نظرت إلى أسفل وكانت المفاجأة التي أذهلتني فقد وجدت كل من في الشارع يحملون الهواتف ويرفعونها لتصوير لحظة نزول هذه المصابة إلى الأرض. لقد استغرق هذا البلاغ الكثير والكثر من الوقت، وباحترافية من رجال الدفاع المدني قاموا بإنزال المصابة دون حركة واحدة، ثم وُضعت داخل سيارة الإسعاف، وطلبت من السائق أن يتحرك ببطء حتى لا تتحرك المصابة ويحدث شلل محتمل.

بحمد الله وصلت إلى المستشفى وتحدثت مع الطبيب عما حدث، ووصفت له الحالة، وعندما عاين هو الحالة اقترب مني وقال لي:»جزاك الله خيرًا»، وقبلني وقال:»لولا ما قمت به لكانت هذه المسكينة تعرضت للشلل». حمدت الله على ذلك، وفي اليوم التالي ذهبت إلى المستشفى حتى أطمئن على أن المصابة بخير، وعندما قابلتها وأخبرتها عما حدث لها قالت:»لو كنت أستطيع الوقوف لقبلت قدميك قبل يديك».

لم أذكر لكم أن هذا البلاغ ظل أكثر من أربع ساعات، وكان هو البلاغ الطارئ الذي لم يحتج إلى سرعة الإسعاف؛ هذا هو عملي.

●●●

obeikan.com

أم تصارع من أجل البقاء

الغريب أن هذا البلاغ هو أسرع بلاغ خضته في حياتي.كنت أنا وزميلي والسائق نتجول بسيارة الإسعاف داخل منطقة عملنا، وكانت الساعة متأخرة؛ بعد منتصف الليل، والغريب أننا كنا نشكو الشيء نفسه في وقت واحد،فنحن الثلاثة جائعون. ذهبنا إلى مطعم على الطريق السريع، وطلبنا شطائر، وقبل أن يصل عامل المطعم بها كان نداء العمليات أسرع من عامل المطعم، جاء البلاغ من العمليات عن وجود امرأة في الخمسينيات تعاني ضيقا في التنفس وألما في الصدر، هذا حسب ما وصف لي من قِبل غرفة العمليات، وكنت أنا في هذه المرة سائق الإسعاف ومسعفًا في الوقت نفسه، وكان معي زميلي والسائق. تحركنا على الفور إلى مكان البلاغ، كان الطريق وعرًا وصعب الإسراع عليه لإنقاذ هذه المرأة،وكان الأصعب من ذلك هو عدد المطبات الموجودة في الطريق إلى المنزل، وكأن الظروف تعاند هذه السيدة وتعاندني أن أصل إليها في الوقت المناسب. تغلبنا على صعوبة الطريق،زدت من سرعة السيارة أكثر فأكثر.

بعد معاناة وصلنا إلى المكان المحدد لأجد أمامي منزلا من طابق واحد، كان الزوج ينتظر الإسعاف في الخارج، وعندما رآنا

obeikan.com

وكأنه وجد كنزًا، كانت تعابير الفرحة واللهفة تظهر على وجهه. دخلت أنا وزميلي مسرعين إلى داخل المنزل لنجد أمامنا امرأة مستلقية على الأرض وسط أبنائها؛ بنات في عمر الزهور وأولاد صغار، وهي فاقدة الوعي وتخور مثل خوار الثور، وعلى الفور تحركت أنا وزميلي لنعمل بروح الفريق؛ شخصان وأربع أيدي، ولكن بقلب واحد،أحضرت جهاز الشفط من السيارة وأخذت أسحب من صدرها كل هذا المخاط الذي يمنع التنفس،وأخذ زميلي جهاز القلب وقام بتوصيله، كل هذا ونحن نضع السيدة على النقالة وننقلها إلى داخل السيارة. تحرك السائق لقيادة السيارة، وتحركت أنا وزميلي إلى السيارة من الخلف لنكمل عملنا مع هذه السيدة المسكينة،لا أنسى دموع أبناء هذه الأم التي كانت تصارع من أجل البقاء على قيد الحياة،وأقسمت على الله ألا يردنا خائبين. أمسك زميلي بوريد وأدخل إبرة الدواء إلى يد السيدة، وبدأالدواء المغذي يدخل إلى جسدها، وكنت أنا قد أدخلت أنبوبًا إلى فم السيدة لفتح مجرى الهواء. كنا نصارع الموت من أجل الحياة،وكانت دموعي تسيل على خدي، ليس من أجل السيدة ولكن من أجل بناتها، ماذا لو كانت هذه السيدة أنا وكانت بناتي من حولي تبكين؟ يارب كن معي لا تتركني.كان ضغط دم السيدة لا يتحسن أبدًا، بل كان ينخفض أكثر فأكثر، هل سيسبق

الموت الحياة في هذه المرة؟ سوف نعرف بعد لحظات أكون قد أدخلت السيدة إلى غرفة الإنعاش.

وصلت إلى المستشفى في وقت قياسي.وأسرع فريق عمل المستشفى في التعامل مع الحالة وعمل كل ما يلزم لإنقاذها. كان يدفعني الفضول إلى أن أظل بجوارها وأعمل مع فريق الطوارئ حتى أرى بعيني النتيجة، وها أنا أجد جهاز رسم القلب يرسم أمامي خطوطًا متعرجة،لكن ليست كل الخطوط المستقيمة تكون خطوط نجاة، فهذه الخطوط المتعرجة هي خطوط الحياة، لقد استجابت السيدة لنداء الحياة، ربي أكمل ما بدأنا على خير.

بعدما استراح قلبي خرجت خارج غرفة الإنعاش وأنا أحمد الله على ما قمنا بهه،فوجدت زميلي بعد لحظات قد خرج خلفي تمامًا وفتح يديه وأخذني بالحضن وقال لي:»لقد نجحنا يا نادر، نجحنا» قلت له:»ماذا تريد أن نفعل بعد هذا الجهد الشاق؟»، قال:»هل تظن أن عامل المطعم مازال يحتفظ بالشطائر؟» قلت له:»وإن لم يكن، سيقوم بصنع غيرها»، وأضفت:»ولكن الحساب عليك» قال:»حسنًا؛فأنا سعيد بإنقاذ هذه السيدة».وصلنا إلى المطعم ووجدنا سيارة شرطة تقف لطلب شطائر. نزل الرجلان من سيارة الشرطة متجهين إلينا ووقفو إلى جوار سيارة الإسعاف، نزلنا إليهم نحن الثلاثة، قال رجل من رجال الشرطة:»ما هذه

الحالة التي ذهبتم بها إلى المستشفى؟ نحن كنا على الطريق وشاهدناكم وأنتم ذاهبون وعائدون بها، لم نتخيل أن تعودوا بهذه السرعة!»ذهبنا في صباح اليوم التالي إلى المستشفى لزيارة السيدة، وكانت موجودة في العناية المركزة، وبفضل الله تمكنت المستشفى من إنقاذها، وذلك على أثر ما قمنا به من عمل. والحمد لله أنني وجدتها تتنفس وبصحة جيدة، ولكن لا تستطيع الكلام بعد، لكن الطبيب قال إنها بخير.فأحمد الله -عز وجل- أنجعلني قادرًا على هذا العمل.

فمن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا.

●●●

obeikan.com

يخرج الحي من الميت

سيارة تنقلب على الطريق السريع نتيجة السرعة الزائدة، ولكن هذه المرة ابنة تفقد كل ذويها.

جاء البلاغ في الصباح الباكر قبل شروق الشمس لتنير الطريق والدنيا، وكان الجو صافيًا وجميلا وخاليًا من العواصف. جاء صوت جهاز الإرسال يصرخ ويقول:«تحركوا بسرعة نحو الطريق السريع، فهناك حادث كبير؛ سيارة بها أسرة كاملة انقلبت، على الطريق الجبلي الواصل بين بلدتين صغيرتين». لم نأخذ وقتًا كثيرًا في التحرك إلى هذا المكان،انطلقنا بأقصى سرعة ممكنة، وكنا في متابعة مع غرفه العمليات حول أي تغييرات في الموقف، ولم نستغرق وقتًا طويلا حتى وصلنا إلى هناك، وكان المشهد من بعيد مخيفًا إلى حد ما، اقتربنا من السيارة وإذا بها محطمة تمامًا عن بكرة أبيها، وليس بها جزء سليم،أما عن المصابين فلا يوجد صوت لأحد، كنت وأنا أبحث أتحدث إلى الشرطي الذي سبقنا قبل وقت قليل، وسألته:«هل خرج أحد من السيارة؟» قال:«للأسف لا،أنا أتيت قبلك بقليل»، وحاولت أن أدخل السيارة حتى أبحث بها عن أمل للحياة، وفي المقعد الأخير في السيارة سمعت بكاء طفلة صغيرة تصرخ صراخًا شديدًا، وبسرعة قفزت إلى داخل السيارة

obeikan.com

والتقطت الطفلة البائسة وكان زميلي يتفحص بقية الأشخاص، وللأسف باءت كل محاولات البحث عن حياة بالفشل، ولم يبقَ غير هذه الطفلة الصغيرة. أخذت الطفلة بين يدي وذهبت نحو سيارة الإسعاف وهي تسألني ببكاء رهيب:»أريد أمي،أريد أبي» وأنا أحاول أن أتماسك حتى لا أفقد أعصابي ويغلبني البكاء، وقلت لها: «اصبري قليلا،إنهم سوف يأتون».

جاء الشرطي إلى السيارة وفتح الباب وسألني:»هل من أمل في شيء؟» قلت له: «البقاء لله، لم يبقَ سوى هذه»، وأشرت إلى الطفلة وقلت له إن عليّ الذهاب إلى المشفى حتى أسلم هذه الطفلة ليتم فحصها فحصًا دقيقًا، قال لي: «أنا سوف ألحق بك». أخذت الطفلة بين يدي إلى هناك والألم يعتصرني ويفتك الحزن بي وأبكي من داخل قلبي بكاء شديدًا، وأقول بيني وبين نفسي: «إلى أين ستذهبين أيتها المسكينة؟ في لحظة واحدة تفقدين كل شيء؛ أمّك وأخواتك وأباك! كم هو قاس هذا الموت! وهل يا ترى هناك مَنْ سوف يهتم بك أم لا؟» وصلنا معًا إلى المستشفى والطفلة لا تزال تتعلق بيدي تقول لي:«لا تتركني حتى يأتي أبي».

آه من حرقة قلبي عليك أيتها المسكينة! وجاء طبيب الحوادث وجلس إلى جواري، ورويت له ما حدث، والطفلة تجلس على صدري، وسمع الطبيب الشاب الصغير ما قلت وهو يبكي، وقال

لي:«ما هذا ما هذا؟!»، قلت له: «الآن هي متعلقة بي، ولا تريد أن تتركني، ما العمل؟».اتصلت الشرطة بعم هذه الطفلة المسكينة، وبعد مرور حوالي ساعة والطفلة متمسكة بي لا تتركني، حضر عمها وهو في أسوأ حالا مما توقعت.

وعندما اقترب مني ورأته الطفلة صرخت، وزاد البكاء:«عمي، عمي، أين أبي؟ أين أمي؟» وكانت هذه فرصتي حتى أهرب من هذا العذاب، وخرجت مسرعًا إلى الخارج، ودخلت الحمام وانفجرت في البكاء، وجلست أسال نفسي: «ما هذه المهنة المهلكة المميتة؟أنا سوف أجنّ عن قريب من كثرة ما أرى».

لنا الله معشر المسعفين، لنا الله.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

المريض الضخم

وأنا في الطريق إلى عملي في الخامسة إلا الربع في الصباح الباكر، كان النعاس يغالبني وأنا أقود السيارة والشارع لازال هادئًا رغم أنه لم يعتد الهدوء أبدًا،كنت أقول لنفسي:»تماسك حتى تصل إلى نقطة التبديل، وبإذن الله يكون الوضع هادئًا ولا تأتيك بلاغات في الساعات الأولى حتى تغفو ولو ساعة».

الحمد لله، ها أنا أركن السيارة في المكان المخصص، وأخذت كوب القهوة في يدي وتحركت نحو سيارة الإسعاف حتى أبدل مع زميلي الذي فوجئت به يلوح من بعيد أن هيا تحرك هناك بلاغ، فأسرعت في الخطو حتى أصل إليه، حتى القهوة التي تعودت عليها في هذا الوقت لن أشربها، وأنا منْ كنت أنوي أن أكمل يومي نومًا بعد أخذه أجازة! أمري إلى الله.

تقدمت نحو زميلي، وأخذت جهاز اللاسلكي وسألته:»ما الحالة؟ وما وقت البلاغ؟»، فقال لي:»إنها غيبوبة سكر، والبلاغ قبل دقيقتين من الآن»، توكلنا على الله. تحركنا بأسرع ما يمكن، وتواصلت مع غرفة العمليات في الطريق وسألتهم عن الوضع، فقالوا إن الوضع سيء للغاية؛ رجل كبير في السن تعرض لغيبوبة سكر. «سترك يا رب!» هذا ما قلت.

obeikan.com

بعد حوالي أقل من عشر دقائق كنت أمام الفندق الذي يقيم فيه المريض، وبسرعة حملت أغراضي وأدواتي وأسرعت نحو المصعد، وكان برفقتي السائق وزميلي وأحد أفراد أمن الفندق، وصلنا إلى الغرفة المقصودة، وإذا بي أجد هذا المنظر أمامي: رجل كبير في السن، ووزنه أكثر من ٢٥٠ كيلو جراما! لتكن معي يا الله. تحركت نحو الرجل، وكانت زوجته تقريبًا تقف إلى جواره، وأنا أخرج جهاز قياس السكر كنت أتحدث مع الزوجة حتى أعرف ما حدث، قالت لي إنه لم يتحكم في نفسه أثناء العشاء وأكل كل شيء رغم أنني حذرته، ها هو جهاز السكر أخرج النتيجة، وياليته لم يخرجها! قياس السكر ٠٣، ما يعني كارثة مع هذا الوزن، سألت زميلي: «ما قياس الضغط؟» قال لي أنه ٤١٠/٩٠. بأسرع ما يمكن جهزت حقنة جلكوز، ولكن المشكلة أين سأجد وريدًا لهذا الشخص! ربطت الذراع من الأعلى وبدأت أبحث في كل ركن، والوقت يمر، سأفقد الرجل، كن معي يا الله.

نقلت الرباط إلى كف اليد، وأخذت أبحث ولا شيء جديد، هذه المرة لابد لي أن أنهي الموضوع. نقلت الرباط إلى القدم، وبحثت كثيرًا، هناك وريد صغير أكاد أراه، بسم الله وضعت الإبرة واخترت أصغر إبرة لدي. وقد جهز زميلي لي حقنة عشرين ملم من محلول الجلكوز، وبدأت أحقن الدواء في الوريد، لقد أنهينا

٥ملم من الدواء بفضل الله، قلت لزميلي:»افحص السكر»،كان هناك نتيجة جديدة، لقد ارتفع السكر إلى ١٤، هناك أمل. بفضل الله أنهيت ٥ ملم من الدواء ليصبح الباقي والمأخوذ ١٠ملم، كنت أحقن الدواء ببطء شديد، وبدأت أنهي الدواء الباقي، الحمد لله قياس السكر هذه المرة يبشر بكل خير، لقد تحرك ليصبح ٧٠، وبدأت أرى بريق أمل، وبدأ الرجل يستعيد وعيه شيئًا فشيئًا، وبدأت أنا ألتقط أنفاسي ويستريح قلبي، لقد أكملت مهمتي بنجاح. اقتربت من الرجل كي أتحدث إليه وأنا أقول له:«كيف أصبحت؟» والرجل لا يتذكر شيئًا مما حدث، ويسأل من أنتم وماذا حدث، اقتربت زوجته منه وقد انهارت من البكاء، تحاول أن تشرح له ما حدث، ويجلس الرجل على الأرض بعد أن كان جثة هامدة. وبدأ يستعيد وعيه ويتذكر شيئًا فشيئًا ما حدث، ويقول:

«لقد اقتربت من الموت أقرب ما أكون في حياتي!» سألته: «هل أنت بخير الآن؟» قال بكل سعادة: «نعم،أنا في أحسن حال» قلت له: «سيدي، أفضل أن تأتي معي إلى المستشفى حتي نكمل العلاج» ولكن الرجل رفض، وقال:لا أرى داعيًا لنقلي إلى المستشفى، فأنا بخير، أشكركم كل الشكر على ما فعلتم.

أتت الزوجة إليّ وهي تقول: «لقد أعدت الحياةإليّ لا إلى زوجي، ماذا تريد أن أفعل لك؟ اطلب مني أي شيء» قلت

لها:«سيدتي، هذا واجبي، وأحمد الله أنني وفقت في عملي ونجحت فيه».

أنهيت عملي وغادرت الفندق وأنا قمة في السعادة مما فعلت، الحمد لله على هذه النعمة، وعلى أنني قادر على إسعاد غيري ولو كان حتى على حساب حياتي، فأنا مسعف مع مرتبة الشرف.

●●●

obeikan.com

عند المنفذ

هـذه المـرة كان البـلاغ في البدايـة عاديًّـا جـدًّا، يـدل علـى أن الوضـع هـادئ بعـض الشـيء، ولكـن تقريبًـا هـذا هـو الهـدوء الـذي يسـبق العاصفـة.

جـاء البـلاغ مـن حـرس الحـدود، وقـال أن هنـاك ابنًـا يقـود سـيارة أتـى إليهـم مـن حـدود بلـد أخرى،جـاء ملهوفًـا يطلـب النجـدة ويقـول إن معـه أمـه داخـل السـيارة تشـكو ألمـا في الصـدر، وقـال أيضًـا إنهـا سـاكنة لا تتحـرك، وقـد انقطـع النفـس تمامًـا. هـذا مـا ورد إلينـا مـن غرفـة عمليـات الإسـعاف في جهـاز اللاسـلكى. تحركنـا علـى الفـور، وكان السـائق الـذي معـي يسـابق الزمـن، وصلنـا إلـى موقـع الحـادث، قبـل الوقـت المتوقـع للوصـول.

نزلـت مـن عربـة الإسـعاف علـى الفـور، كان يقودنـا أحـد أفـراد شـرطة حـرس الحـدود، وإذا بـي أجـد أمامـي سـيدة كبيـرة في السـن داخـل سـيارة في الكرسـي الأمامـي، لا نبـض فيهـا ولا نفـس، وكان ابنهـا إلـى جـوار السـيارة ويبـدو عليـه القلـق ولا تظهـر عيونـه مـن كثـرة البـكاء. لقـد أتعبتنـي دمـوع الرجـل وأوجـع قلبي.حملـت معداتـي وذهبـت إلـى هنـاك بسـرعة رهيبـة وتحدثـت إلـى ابنهـا وأنـا أتفحـص السـيدة، التـي لـم أجـد منهـا أيـة اسـتجابة، والجسـد تقـل فيـه

obeikan.com

الحرارة. قلت لنفسي إن هذا اليوم لن يمر على خير، فأنا أخاف التعامل مع تلك الحالات، خصوصا الأمهات.

سألت الابن: «كم من الوقت مر لها على هذا الوضع؟» قال:«حوالي ربع ساعة»،هذا وأنا أعمل، وفجأة وجدت نبضًا خفيفًا جدًّا جدًّا في شريان الرقبة؛ الشريان السباتي (بالإنجليزية: common carotia)، تهللت فرحًا، وبسرعة نقلت السيدة إلى داخل سيارة الإسعاف، وقمت بعملي الذي آمل بإذن الله ألا يضيع هباء. كنت أقوم بعمل تنفس صناعي أنا وزميلي، ونحاول أن نحرك القلب، وهذا مايُسمى إنعاش القلب والرئتين (بالإنجليزية: Cardiopulmonary resuscitation)، واختصارًا (CPR).كان جهاز صدمات القلب متصلا، وبفضل الله أعطيناها بالجهاز صدمة وبدأ النبض يظهر أكثر.

طلبت من السائق أن يزيد سرعة السيارة، وانطلق هو بكل قوة، وكانت هناك سيارة من سيارات الشرطة تفتح لنا الطريق، كنت أتعامل مع هذه السيدة وأخاف عليهاو كأنها أمي، فكان بكائي محبوسًا داخل عيني، وكأن قلبي هو المصاب، وبدأت المستشفى تظهر من بعيد، استراح قلبي بعض الشيء، وقلت بإذن الله هناك أمل لها في الحياة؛فقد وصلنا المستشفى في أقل من عشرة دقائق، وكان الأطباء في انتظاري عند مدخل الطوارئ، لقد

obeikan.com

أبلغ السائق أن معنا حالة حرجة، وعلى الفور تم إدخال السيدة إلى غرفة الإنعاش، وقام الأطباء بعمل اللازم.

كان الجميع يعمل بروح الفريق وأكثر من المتوقع، وما زلت مستمرًا في العمل لم أتوقف حتى رأيت بأم عيني جهاز القلب يظهر خط ضربات القلب، هنا ألقيت جسدي على الأرض ساجدًا لله شكرًا، عما أكرمني به كما يفعل لاعب الكرة داخل الملعب عندما يحرز هدفًا.

خرجت من غرفة الإنعاش لأجد ابن هذه السيدة واقفًا أمام الباب يبكي متلهفًا ليعرف ماذا حدث لأمه. ذهبت إليه ووضعت يدي على كتفه وقلت له:»الحمد لله، زال الخطر «وجدت الرجل وقد تغير وجهه وكسته ملامح الفرح، وأخذني بين زراعيه في فرح:»أشكرك، أشكرك سيدي، أشكرك من كل قلبي،أمي بخير بالله عليك؟ أمي بخير الحمد لله، أشكرك، أشكرك» قلت له:«اشكر الله أولا، الله هو من سخرني لهذا».

بعد قليل جاءني هاتف من غرفة العمليات، يسأل عن وضع السيدة ويقول إن ضابط حرس الحدود اتصل بغرفة العمليات حتى يشكرهم على ما قمنا به من عمل أذهل الجميع، وقال ضابط العمليات لي إن جميع فريق العمل يشكركم على ما قمتم

بـه مـن عمـل رائـع، جزاكـم اللّه خيـر الجـزاء. هـذا هـو عملـي، هـذا هـو المسـعف، هـذا أنـا.

●●●

obeikan.com

الوادي المظلم

كان صراخ الزوج في الهاتف: «أين زوجتي؟ أريد زوجتي، زوجتي مريضة سكري، وأنا متأكد من أنها لم تأخذ دواء السكر» هذا الصوت الذي عصر قلبي من الألم لدرجة أنني شعرت وكأني أبحث عن ابنتي أو زوجتي.

على حسب البلاغ الوارد من غرفة العمليات إلينا هناك سيدة في حاجة للمساعدة انقطع بها الطريق في منطقة جبلية مقطوعة. انطلق السائق إلى المكان المحدد من العمليات عن طريق الـ GPS، وأخذنا نمسح الطريق ذهابًا وإيابًا، ولازال الزوج الحزين معي على الهاتف، يزيد بكاؤه مرة بعد مرة، وأنا أحاول أن أعطيه الأمل الذى فقدته أنا؛ فأنا شخصيًّا قد فقدت الأمل في العثور على الزوجة.

مع يأسي فقد كثفت الاتصال بفرق الإنقاذ حتى أجد الدعم في البحث عن السيدة المفقودة، ولازال السائق معي يمسح الطرق ولا أمل. جاءت على الفور فرق الإنقاذ التي وصل عددها إلى أكثر من ست سيارات، وانتشرت في كل أرجاء المنطقة، ولا أمل، وكأننا نبحث عن إبرة في كومة قش.

عادت العمليات في التواصل معي وسؤالي عما حدث،وهل يوجد جديد، وفي هذه اللحظة اتصل بي الزوج مرة أخرى، وبنفس الصوت مع زيادة البكاء، ما بال هذا الزوج؟ إلى هذه الدرجة

obeikan.com

فقدان زوجته يحزنه؟ وفجأة اتصلت بي غرفة العمليات وقالت إنه لا يوجد أمل من استمرار فرق البحث في المكان، ولابد من سحب فرق الإنقاذ وإلغاء البلاغ؛ لأن البحث استمر أكثر من ساعتين، ولكنني تذكرت صوت الزوج الحزين، فقلت لضابط العمليات: «أنا أعتذر عن إلغاء البلاغ، أنا أفضل ألا أفقد الأمل» فقال لي: «يمكنك الاستمرار، ولكن على مسئوليتك» فقلت له: «وأنا على استعداد لتحمل المسئولية كاملة، حتى لو تطلب الأمر مني أن آخذ شنطة الإسعاف وأستمر في البحث على قدمي»، وهنا أبلغت مديري في الإسعاف بما حدث، فما كان منه إلا أن تدخل وأمر العمليات أن نستمر في البلاغ والبحث. تهللت فرحًا من ذلك وكأن المريض الذي نبحث عنه من أهلي.

نطلقت أنا والسائق، وغيرنا خطة البحث، قلت للسائق:«لا تمش بالسيارة في المكان نفسه، حاول أن تكون قريبًا لجانب الطريق»، يالها من مشقة وتعب، هذا العمل الشاق يحدث من أجل حياة شخص ليس من شخصيات المجتمع ولا نجوم السينما، كنت أتساءل هل نحن حقًّا في بلد عربي؟ ولم يمض على سيرنا بالسيارة غير خمس عشرة دقيقة، ووجدت على الجانب الذي أجلس فيه ضوء سيارة يلمع من بعيد، الله أكبر، هذا ما نبحث عنه منذ أكثر من ساعتين ونصف الساعة. صرخت في زميلي السائق أن اذهب إلى هناك،ودعوت الله أن أكمل مهمتي، وأن تكون السيدة بخير.

توقفت السيارة عند هذا الحد لأنه لا يستطيع النزول في الرمال، فأخذت الحقيبة وجريت متجهًا نحو سيارة السيدة، كنت من يحتاج إنقاذ قلبه! يكاد قلبي أن يتوقف! يا الله أنا لا أحتمل صدمة مثل هذه، اللهم لا تضيّع تعبي، كل هذا حدث لي خلال ثوان معدودة وأنا ذاهب إلى المريضة، واقتربت من السيارة ووضعت يدي على بابها حتى أفتحه، وإذا بي أجد أمامي سيدة ممددة على كرسي السائق ولا تتحرك. اقتربت حتى أجس النبض، هناك نبض والحمد لله، وجهها شديد السواد،أخذت جهاز السكر حتى أعرف ما وضع سكرها، الله أكبر! كيف لا تزال هذه السيدة على قيد الحياة! سكرها ٣٣! هل يعقل هذا؟ وعلى الفور وضعت الإبرة في وريدها، ولا أعرف كيف وجدته، وبدأت أحقن ببطء شديد محلول الجلكوز، كم هي بطيئة هذه الإبرة! أسرعي بالله عليك،كنت أنادي:«سيدتي،أفيقي بالله عليك، أفيقي،أنا لا أحتمل، قلبي سيتوقف، أفيقي سيدتي بارك الله فيك».

إنها تفتح عينيها ببطء شديد، هيا استجيبي سيدتي، هنا اتصل الزوج مرةأخرى وسألني أين نحن، قلت له:«أبشر بالخير، زوجتك معنا الآن، وهي بصحة جيدة والحمد لله، الحقني إلى المستشفى، فأنا متجه إلى هناك»، كان صوت الزوج يرجف من الفرح، وعندها استعادت السيدة وعيها، وأنا بدأت آخذ أنفاسي، يالله من يوم عاصف! نظرت إليها وقلت:«سامحك الله على ما فعلت بي «قالت:» ماذا تقول؟«قلت لها:»لا شيء، من المؤكد أن زوجك سوف يخبرك فيما بعد».

اقتربنا من باب المستشفى، وإذا بسيارة الزوج خلفي مباشرة، وعندما توقفت سيارة الإسعاف وفتحت الباب وجدت هذا الزوج قد توقف وقفز داخل سيارة الإسعاف، وأخذ يقبل زوجته ويبكي بشدة، قلت له:«دع هذا لما بعد، ودعني أسلم زوجتك للمستشفى» قال:«أنت نادر؟» قلت: «نعم» قال: «جزاك الله خير الجزاء».

دخلت إلى المستشفى وسلمت المريضة، وأخيراً سوف ألتقط أنفاسي، جاء الزوج إلي وأخذني بالحضن وقال:«ونعم الناس أنت، جزاك الله خير الجزاء» قلت له:»اهتم بزوجتك ولا تتركها مرةأخرى بمفردها،أدام الله الحب بينكما». خرجت خارج المستشفى، وإذا بزميلي واقف عند الباب، فجريت عليه وأخذته بالحضن وقبلته وقلت له:«لولا اجتهادك ما أتم الله علينا نعمته، الحمد لله» قال لي:«أبدًا والله، لولا إصرارك ما وجدنا السيدة». الحمد لله رب العالمين على أنني أعمل في هذا المجال وليس غيره، فليس هناك أجمل من إنقاذ الناس وإسعاد طفل بعودة أبيه وإسعاد أم بعودة ابنها.

●●●

obeikan.com

اختلاس

هـذا البـلاغ لـه طابـع خـاص لـديّ، فعندمـا جـاء نـداء غرفـة العمليـات إلينـا عنـد بدايـة العمـل مباشـرة تحـدث إلـي مسـئول غرفـة العمليـات وقـال لـي: «نـادر، هـذا البـلاغ الـذي سـوف تذهـب إليـه الآن، ليـس بلاغًـا لإنقـاذ شـخص مـن المـوت، فهـذا مريـض محجـوز في مستشـفى خـاص في قسـم العنايـة المركـزة، ويحتـاج إلـى متابعـة أثنـاء ذهابـه إلـى المحكمـة لأنـه أودع في السـجن وكان ينتظـر المحاكمـة، وأثنـاء وجـوده في السـجن أصابـه مـرض في القلـب، واليـوم موعـد جلسـة مـن جلسـاته، والأطبـاء طلبـوا أن يُنقـل داخـل سـيارة الإسـعاف، وطلبـوا أن يرافقـه الإسـعاف كذلـك داخـل قفـص الاتهـام، وأنـت سـتكون مرافقًـا لـه» ظللـت صامتًـا وذهنـي لا يتوقـف عـن التفكيـر؛أي مريـض هـذا الـذي سـوف أرافقـة إلـى المحكمـة؟ ومـاذا أفعـل أنـا داخـل قفـص الاتهـام؟ يبـدو أن الموقـف حـرج ويحتـاج منـي أن أتعامـل بشـكل مختلـف، وهـذا ليـس اختيـارًا منـي للأسـف، فهـذا بـلاغ رسـمي،أي يمكـن اعتبـاره أمـرًا عسـكريًّا رغـم أننـي لسـت بعسـكرى،حسـنًا،لنكمل قصـة البـلاغ.

انتقلنـا علـى الفـور إلـى مـكان البـلاغ، واكتشـفت أن هـذه ليسـت مستشـفى،بل فنـدق سـبع نجـوم، دخلـت إلـى الاسـتقبال، وسـألت

obeikan.com

عـن اسـم الشـخص المريـض، وكان لـدى اسـتقبال الفنـدق -أقصـد المستشفى- علم بالبـلاغ، واصطحبتنـي إحدى الممرضـات إلـى غرفـة المريض، والـذي وجـدت على غرفتـه حراسـة مشـددة، وسـألوني عـن اسـمي وطلبـوا البطاقـة، فقلـت لهـم إننـي لا أحمـل بطاقـة معـي، ولكـن كل بياناتـي موجـودة في غرفـة العمليـات، قـال الشـرطي: «أعطنـي بعـض الوقـت حتـى أجـري اتصـالا»، وبعـد حوالـى عشـر دقـاق عـاد الشـرطي إلـي وقـال: «إن المريـض جاهـز للنقـل بعـد أن تكمـل إجراءاتـك مـع المستشـفى» وكانـت برفقتـي ممرضـة وطبيـب الحالـة، دخلنـا إلـى غرفـة المريض، وإذا بـي أدخـل غرفـة في فنـدق مـن الفنـادق العالميـة، وكل مـا تتخيلـه في حياتـك موجـود داخلهـا؛ كل وسـائل الراحـة والترفيـه موجودة، والمريض المـراد نقلـه إلـى المحكمـة يبـدو عليـه الكبـر ولكـن وكأنـه شـاب في الثلاثين مـن عمـره، ولا يتبـدو عليـه أيـة علامـة مـن علامـات المـرض، وكانـت برفقتـه داخـل الغرفـة زوجتـه وابنـاه الاثنـان؛ شـباب في مقتبـل العمـر. تحـدث الطبيـب إلـي وقـال إن أهـم شـيء هـو جهـاز تخطيـط القلـب والأكسـجين، فيجـب أن يكونـوا علـى اتصـال طـوال الوقـت، فهـذا المريض يعانـي ضيقـا في صمامـات القلـب، وأعطانـي ورقـة التعليمـات وبعـض الأدويـة.

بـدأت في نقـل المريـض علـى نقالـة الإسـعاف الخاصـة بـي، وتوصيـل جهـاز تخطيـط القلـب، ووضعـت الأكسـجين، وتحدثـت إلـى

المريض حتى أتأكد من حالة الوعي، لا أعلم لماذا كان قلبي ينبض بطريقة غير عادية وكأنني أنا المريض! وكان يدور في ذهني أن أقول له: «من فضلك اجعلني أنام مكانك على النقالة»! تحركت من هذا المبنى الضخم الذي لازلت أظن أنه ليس مستشفى، كنت أقول لنفسي إنني لو نقلت مريضًا-وكان يحتضر- هنا ورأيت تلك الرفاهية كان سيقوم متعافيًا ويسير على رجليه مرةأخرى.

وصلنا سيارة الإسعاف، وبدأت أنقل المريض إلى داخلها، ووجدت أن برفقتي فيها أربعة أشخاص؛ من الحرس اثنان وزوجة المريض وابنه وأنا وزميلي،كما كانت هناك سيارتا شرطة سوف ترافقان سيارة الاسعاف إلى المحكمة. كان داخلي فضول كبير جدًّا لمعرفة القصة؛ قصة هذا المريض، فأي مريض هذا الذي يُمثل كل تلك الخطورة على الأمن العام وعلى الدولة ويحتاج إلى هذا التامين! قلت لنفسي اصبر، بعد دقائق سوف تصل إلى المحكمة وتعرف القصه كاملة، ولكن هناك مشكلة أخرى، كيف سيركب هذا العدد كله داخل سيارة الإسعاف؟ وقفت على باب سيارة الإسعاف وقلت لزوجة المريض وابنه:»من فضلك سيدتي، لا يوجد مكان داخل سيارة الإسعاف، وأنا لا أستطيع أن أطلب من الحرس النزول، فمن فضلك أن تتفضلي وتركبي سيارة أخرى»، اقترب مني ابن المريض وأخذني من يدي وتحدث إلي بصوت

obeikan.com

خافت وقال لي: «أنا سوف أركب مع أخي وأتبع سيارة الإسعاف، ولكن من فضلك اترك أمي داخلها برفقة أبي» ووجدت منه تصرفًا غريبًا جدًّا وتحدث معي بلكنة تعالٍ وتكبر وأخرج من جيبه مبلغًا كبيرًا من المال ووضعه في جيبي وتحرك مسرعًا إلى سيارة أخيه، تاركًا أمه داخل سيارة الإسعاف، وهنا وكأنه ضربني على رأسي بآلة حادة شقته نصفين! تحركت إلى سيارة الإسعاف وطلبت من الحرس النزول لدقائق، وطلبت من السيدة النزول، وقلت لها من فضلك أن تنزلي حتى أرتب لحضرتك مكانًا داخل سيارة الإسعاف. نزل الحرس ونزلت السيدة على الأرض وأنا واقف بينهم جميعًا أخرجت المبلغ الذي وضعه الابن في جيبي وقلت للسيدة بكل أدب واحترام:«من فضلك اذهبي واركبي مع ابنك، وهذا المبلغ ابنك قد نساه معي، من فضلك أن تعطيه له، وتقولي له أن ينتبه إلى أشيائه»، وطلبت من الحرس أن يركب السيارة وأن يمنع أي شخص من الركوب.

انطلقنا بسيارة الإسعاف متجهين إلى المحكمة، وكانت ترافقنا سيارة شرطة في الأمام وسيارة أخرى في الخلف، وصلنا إلى المحكمة وكان الوضع بالنسبة لي وكأني أشاهد فليمًا سنيمائيًّا من أفلام هوليود، ودخلنا من باب خلف المحكمة، باب مخصص لمثل هذه الحالات، وأنزلت المريض على النقالة ودخلنا إلى قاعة

المحكمة، وطلب مني ضابط الشرطة أن أرافق أنا المريض وينتظر زميلي في الخارج، استغربت الأمر في البداية، ولكنني استوعبت أن هذه الجلسة تعتبر جلسة خاصة، ودخلت مع المريض إلى قفص الاتهام، وكانت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أدخل فيها قفص الاتهام حتى وأنا مرافق لمريض ولست متهمًا.

بدأت الجلسة وفي داخلي شغف لمعرفة قصة المريض الذي أرافقة ولا أعرف عنه أي شيء، حتى أنني أشك في تشخيص الطبيب الذي سلمني الحالة، ولكن ليس من عملي أن أتدخل في شيء لا يعنيني.حضر القاضي، وكانت قاعة المحكمه وكأنها مدرسة للشرطة بهذا العدد الهائل الذي أراه منهم، وبدأ القاضي في التحقيق وسماع الشهود، وهنا حانت فرصتي لأعرف ما قضية هذا المريض.

لن أطيل الأمر عليكم،لقد اتضح لي مما سمعت أن هذا الرجل كان مسئول القروض في أحد البنوك، وأنه متهم بتسهيل قرض لأحد رجال الأعمال الذي فر ومعه المال خارج البلاد، ليس هذا هو المهم،المهم كم المبلغ المتهم به هذا الرجل، فالمبلغ يعتبر ميزانية دولة صغيرة! كان المبلغ الذي سمعته بالنسبة لي صدمة من الحجم الكبير، هذا وأنا ليس لي علاقة بالأمر، كان المبلغ ٥٠٠مليون دولار، وكانت الجلسة فقط لسماع الشهود، لم تحدث

لهـذا المريـض أي تغيـرات؛ لا في ضربـات القلـب ولا في التنفـس ولا أي شـيء يذكـر.

اسـتمرت هـذه الجلسـة أكثـر مـن عشـر سـاعات كاملـة دون أن أزيـد شـيئًا مـن عنـدي، إذن فمـا الداعـي لوجـودي هنـا؟ ومـا الداعـي لوجـود هـذا المريـض في المستشـفى الخـاص الكبيـر الـذي يسـكن بهـا؟ والأمـر الـذي حيرنـي فيمـا بعـد أن تكلفـة الإقامـة في هـذه المستشـفى كبيـرة جـدًّا في اليـوم الواحـد.

انتهـت الجلسـة بعـد أن ضـاق صـدري مـن الانتظـار، وحـان وقـت الخـروج مـن المحكمـة والعـودة إلـى المستشـفى، بعـد انتهـاء وقـت عملـي منـذ أكثـر مـن سـاعتين، كنـت أحسـب الوقـت، كيـف مضـى وأنـا في قفـص الاتهـام مرافقـا لهـذا الرجـل الـذي لـم أعـرف مـا قصـة مرضـه، وهـل هـو مريـض بالفعـل أم لا. تحركـت مـع المريـض حتـى أعـود بـه إلـى سـيارة الإسـعاف وكان زميلـي والسـائق في انتظـارى،وفي أثنـاء انتظارهمـا في الخـارج ولا أحـد منهـم يعـرف مـاذا يـدور داخـل قاعـة المحكمـة، في هـذه الأثنـاء تلقيـت أكثـر مـن اتصـال مـن غرفـة العمليـات علـى هاتفـي، وكل اتصـال كان مسـئول غرفـة العمليـات يريـد أن يعـرف مـاذا يـدور، وهـل انتهـت الجلسـة أم لا؟

obeikan.com

وصلت ومعي المريض إلى سيارة الإسعاف، ووضعته داخلها، وكان الانتظار في سرداب مظلم طويل عند الباب الخلفي لقاعة المحكمة،حينها جاء إليّ ضابط الشرطة المرافق لسيارة الإسعاف منذ البداية وقال لي:»نادر نحن لن نعود إلى المستشفى نفسه، فأنا عندي أوامر بأن يذهب هذا المريض المتهم إل السجن بعد انتهاء جلسة المحكمة» قلت له:»سيدي، هذه الأوامر ليس لي علاقة بها، فأنا وقعت على استلام المريض، ومكتوب في الورقة التي وقعت عليها أن أسلم المريض إلى المكان نفسه»

قال لي: «لا تجادل كثيرًا، فهذه أوامر الشرطة» فقلت له:»سيدي، أنا لا أعمل لدي الشرطة،إذا أردت أن تأخذ هذا المريض المتهم إلى السجن وقع لي على ورقة باستلامه وخذه إلى أي مكان تريد». كان الجدال حادًّا بيني وبين الضابط، وبعد أن أجرى هو اتصالاته جاءني اتصال من مديري يقول لي:»ما قصة هذا البلاغ؟» قلت له:»سيدي،إن ما حدث هو إجباري أن أغير اتجاه سيارة الإسعاف» قال لي بالحرف الواحد:»هذا مريض عندنا، وعندهم هو متهم، ولابد لك ألا تخالف القانون، سلم المريض إلى المكان الذي تستلمته منه» قلت: «سيدي، هذا ما أريد أن أفعل، والشرطة تجبرني على أخذ المريض إلى السجن»،أنهى المكالمة معي وقال: «لا تخالف القانون».

وكان ذلك يضعني في حيرة أكبر؛ ماذا أفعل وأنا محاط بكل سيارات الشرطة ولا أملك من الأمر شيئًا؟ وسائق الإسعاف كان معي رجلا بمعنى الكلمة، وعندما طلب منه الضابط أن يتحرك رفض، وقال:«أنا آخذ أمر التحرك من المسعف»، جاء إلي الضابط مرةأخرى وكان حادًّا هذه المرة وهددني بأنه سوف يرفع تقريرًا إلى إدارته عما حدث، قلت له:«سيدي،أنت تريد أن تنهي عملك، وأنا لا أريد أن أخالف القانون».

طلبت من السائق أن يتحرك إلى المستشفى نفسه الذي أخذنا منه المريض، وبدأ السائق في التحرك، ولكن سيارات الشرطة كانت تمنعه من الحركة، وزاد الأمر سوءًا أكثر من ذي قبل، خرجنا بعد معاناة من ساحة المحكمة، وكانت سيارات الشرطة تجبر السائق على أن يغير الاتجاه، وفجأة حدث ما لا يتوقعه أحد، حدث أمر غريب مرعب، وهذا ما لم أكن أتوقعه، لقد توقفت السيارة عن الحركة وفجأة ركب فرد من أفراد الشرطة سيارة الإسعاف بجوار السائق، وتحركنا إلى مكان آخر وليس إلى المستشفى، حاولت أن أتحدث في الهاتف ولكن الحرس المرافق للمريض معي داخل سيارة الإسعاف أخذ الهاتف مني وقالو لي بالحرف الواحد: «شئت أم أبيت سوف نتحرك إلى السجن» قلت:«ولكن هذا الأمر مخالف للقانون» فقال لي العسكري: «نحن هنا نمثل القانون». ولم يمض

obeikan.com

وقت كثير إلا وكنا أمام بوابة السجن، وانفتحت البوابات ودخلت سيارة الإسعاف إلى الداخل، وفتحوا باب سيارة الإسعاف، وبدأت الكلاب تصعد إليها، وبعد دقائق صعد شخص أسمر اللون وبدأ في تفتيش السيارة، ونزل منها فسمحوا بدخولها، ووصلنا إلى نقطة الوصول، وجاء اثنان من رجال الشرطة حتي ينزلا المريض من على نقالة الإسعاف لاصطحابه إلى الداخل، وظهر ضابط الشرطة الذي تحدث لي من قبل مبتسمًا يقول لي:«أنا أعتذر عما حدث، ولكن ليس عندي خيار آخر، فلدي أوامر بذلك»، وأعادوا لي هاتفي وهاتف السائق، وقال لي: «الآن يمكنكم الخروج والعودة إلى مكان عملكم».

خرجنا من البوابة واتصلت بمديري وشرحت له ما حدث، قال لي: «ارفع لي تقريرًا مفصلا عما حدث، وأنا سوف أتخذ اللازم»، قلت له: «لقد تعرضت حياتي وحياة من معي للخطر» قال لي:«اكتب كل شيء». وانتهى الأمر بعد هذا العذاب وحرق الأعصاب الذي تعرضت إليه أنا وفريق عملي، ولا أعرف ماذا أفعل سوى أن أذهب إلى مكان عملي أسلم السيارة وأذهب إلى البيت كي أرتاح من كل هذا العناء، هذه هي مهنة المسعف وهذا عملي.

بعد عدة أيام تم استدعائي وفريق العمل الذي كان معي، وشرحت ما عندي، وقال لي المدير إن الأمر بسيط جدًّا، ولكن هذا المريض لابد من إيداعه في السجن وأخرج تقريرا يفيد أن حالته لا تستدعي أن يبقى في هذا المستشفي دون داع، ونحن نتبع الأوامر، وإن كان هناك سوء تفاهم فنحن حللنا الأمر وتحدثنا مع مدير الشرطة في ذلك، وكان هذا كل ما حدث.

●●●

obeikan.com

عامل البناء بين الموت والحياة

ها هو يوم جديد لا أعرف ماذا يُخفي لي فيه القدر، كل موظف يذهب إلى عمله يعرف جيدًا المهام التي سوف يقوم بها، فلديه عمل محدد يقوم به إلا أنا وزملائي، ننتظر العمل على حسب القدر والنصيب. كنت هذا اليوم أعمل في نوبة الليل، ركبت سيارة الإسعاف وذهبنا لإحضار القهوة من محطة البترول التي تعودنا أن نذهب إليها، وفي الطريق جاء النداء، بلاغ في عمارة تحت الإنشاء، والمصاب عامل بناء، سألت الله أن يكون البلاغ خفيفًا وأن تكون إصابة هذا الرجل بسيطة، وبعد أقل من دقائق وصلنا إلى موقع البلاغ، وكانت العمارة عبارة عن تسعة طوابق تحت الإنشاء، ولا يوجد سلم للصعود للمريض، وعلمت من عمال البناء أن هذا العامل قد انحرفت قدمه وهو على السقالة ووقع من الطابق التاسع إلى الطابق الثامن، وقد نزل في مكان ضيق واخترق جسده سيخ حديد مثبت في الأرض، المشكلة هنا كيف يمكن الوصول إليه! سألت عن طريقة الوصول إلى هذا المكان وكان الرد لا يوجد طريق إلى هناك غير سلم خشبي معد لصعود العمال.

obeikan.com

استعنت باللّٰه الواحد القهار وأخذت شنطتي وبعض معداتي، وكان بعض العمال يحملون معي أنا وزميلي، كنت وأنا في طريقي إلى أعلى أرسم في رأسي شكل ووضع المصاب، وماذا سوف أفعل معه، هذا على حسب ما قيل لي من العمال، وكنت أتذكر جيداً أنني قد شاهدت مثل هذا الحادث من قبل مع اختلاف الظروف، لقد كان قبل عام، وكان حادث سيارة، وقد اخترقت جسم المصاب قطعة حديد من السيارة الأخرى. ولم يكتمل تفكيري إلا وقد وصلت إلى جوار المصاب، لم يكن هناك وقت للتفكير فلابد من أخذ قرار سريع، فالوضع خطير جداً، وجدت المصاب في وضع أتعب قلبي وأتعب نفسيتي للغاية، لم أحتمل هذا المنظر الذي رأيته،ولكن قلت لنفسي تماسك لا مكان لتضيع الوقت ولا للانسحاب، هناك قطعة حديد (سيخ) قد اخترقت جسمه حين وقع عليها من ارتفاع طابق،أي حوالي ٣ أمتار وأكثر، وكانت هذه القطعة الحديدية قد اخترقت الظهر من ناحيه الصدر اليمين وقد خرجت من الناحية الأخرى للجسم. كان زميلي قد أعد الأكسجين وبدأ في اختبار وعي المصاب، وقمت معه في هذا الوقت بوضع بعض من الشاش والقطن حول الحديدة البارزة من الصدر، وقمت بوضع بعض اللاصق في ثلاث جهات، وتركت جهة واحدة مفتوحة حتى أحافظ على ضغط الهواء في الجسم،

وأنا أقوم بعمل ذلك قلت لزميلي السائق:«من فضلك اتصل بغرفة العمليات» كان يتصل وهو يقول لي:«ماذا سوف تفعل؟» قلت له:«سوف ترى،أعطني دقائق» عندما انتهيت كان مسئول العمليات قد رد على الهاتف، وسمعت صوت زميلي وصديقي العزيز الذي أعرفه ويعرفني جيدًا أخي (ح.ش) وقال لي:

«ألن أرتاح منك ومن طلباتك؟ هات ما عندك»، قلت له:«طلباتي اليوم كثيرة جدًّا؛ أولا أريد فريق الإنقاذ للصعود إلى سطح العمارة وقطع قطعة الحديد دون أن أحرك المصاب، وهذا بأسرع ما يمكن؛ لأن عندي مصاب به إصابة بالغة في الرئة اليمنى، وحتى الآن لا يوجد نزيف، الطلب الثاني سيارة المطافئ التي تستطيع أن تصل إلى الطابق العاشر (سلم المطافئ) لأنه لا يوجد مكان حتى أنزل هذا المصاب من هذا المكان الذي صعدت أنا إليه بصعوبة».

استجابت غرفة العمليات إلى ما طلبت لأنه في صالح العمل، ولكن يبدو أن ما طلبت كان غريبًا بعض الشيء لأنني وجدت بعض المسئولين قد وصلوا قبل وصول فريق التدخل السريع،ووصل فريق الإنقاذ وصعد إلى الأعلى ليكون معي وسألني: «كيف صعدت أنت ومعداتك إلى هنا؟» قلت: «لا يوجد الكثير من الوقت» قال لي: «أعطني أقل من دقيقة».

obeikan.com

تدخل رجل الإنقاذ على الفور بمقص حديد أتوماتيك ليقطع الحديدة ويفصل التصاق المصاب بالأرض، وهذا كان ما نحتاج إليه من فريق عمل الإنقاذ الذي دائمًا ما يبهرنا بعمله الرائع، فلم يشعر المصاب بأي شيء أثناء قطع الحديدة المتصلة بجسمه من ظهره والبارزة من صدره.

لم يمض وقت كثير حتى وصل الدفاع المدني إلى المكان، وكان هناك اهتمام كبير جدًّا من قبل رجال الشرطة لتنظيم المكان والسيطرة على الموقف، كانت ثوان معدودة وظهر سلم الدفاع المدني مع رجلين من فريق الدفاع المدني، جاء إلي فرد الدفاع المدني وعرف عن نفسه وقال: «نادر، ماذا تريد أن نفعل؟ نحن على أتم الاستعداد للمساعدة»، قلت له:«نريد أن ننزل هذا المصاب إلى الأسفل إلى سيارة الإسعاف، وأنا برفقتك» قال لي:«هل أنت جاهز؟» قلت:«نعم» وأنا كنت قد وضعت المصاب على نقالة معدة لمثل هذه الظروف، تقوم بتثبيت الجسم بشكل كامل، كان المصاب يعاني ألما شديدا بعد أن زال أثر المسكن الذي أعطيته له عن طريق التنفس، تحركنا إلى سلم الدفاع المدني بسرعة فائقة مع الوضع في الاعتبار عدم حركة المصاب.

كنت وأنا راكب في سلم المطافئ تدور الأحداث أمام عيني كشريط السينما، وأتذكر مثل هذه الحالات التي مرت أمامي منذ

زمن طويل، وماذا كنت أفعل، وأقول لنفسي سبحان الله، مصاب واحد يحرك كل هذه الأجهزة الحيوية في الدولة من أجل إنقاذه، كم هذا جميل، (الانسان قبل المكان) وكانت هذه هي المرة الثانية لي التي أستعين فيها بالدفاع المدني في حالة شبيهة بمثل هذه الحالة. وصل سلم الدفاع المدني إلى الأرض بسلام، وأنا على السلم كنت أتذكر فيلمًا قديمًا اسمه (بين السماء والأرض)، وصلنا إلى سيارة الإسعاف وتم إدخال المصاب إلى سيارة الإسعاف، وعلى الفور تحركنا إلى المستشفى التي كان عندها علم بالحالة.

كنت طوال الطريق -بين مكان الحادث والمستشفى-أحاول بكل جهد لدي الحفاظ على حالة المصاب حتى لا أفقده ويضيع جهدي وجهد كل من شارك معي في هذه الحالة، فسائق الإسعاف الذي معي قد تعب كثيرًا في مساعدتي حتى أفعل ما فعلت، ورجال الشرطة والإنقاذ والدفاع المدني، كل من له جهد مبذول في أداء واجبه كنت أدعو الله ألا يضيع هذا الجهد هباء، كان ضغط المريض يهبط هبوطًا ملحوظًا وأنا أسابق الزمن حتى نصل في الوقت المناسب، الحمد لله وصلنا إلى المستشفى فى سبع دقائق،وعلى الفور وجدت على باب المستشفى من يساعدني فى إنزال المصاب، ودخلنا مسرعين إلى غرفة الإنعاش فى قسم الطوارئ، وكنت أتحدث بصوت مرتفع وأشرح ما حدث مع المصاب

obeikan.com

وفريق عمل الطورائ لم يتوقف عن العمل، وتم نقل المصاب من على نقالة الإسعاف إلى سرير المستشفى، وتم توصيل كل الأجهزة اللازمة لإنقاذ المصاب، وأنهيت عملي وأنا فى قمة السعادة لما قمت به من عمل تجاه هذا المصاب، حمدت الله على أن أعطاني القدرة والصبر حتى أفعل ما فعلت، خرجت خارج باب المستشفى وذهبت إلى ركن بعيد، وسحبت سيجارة من علبة وجلست على الأرض وأنا ألتقط أنفاسي وأنفخ دخان سيجارتي فى الهواء.

●●●

obeikan.com

البلاغ لا يحتاج هليكوبتر

من الغريب في هذا البلاغ أننا وصلنا في أسرع وقت ممكن، ولكن بعد فوات الأوان، مع الأسف، فلم يكن أحد ليمنع قضاء الله، ولكن كان هناك بعض الأحداث داخل هذا البلاغ التي تعجب منها الجميع، لقد جاء البلاغ ونحن في طريقنا من نقطة تسلم العمل إلى مكان التمركز، لقد جاء الأمر بالتحرك إلى الشارع الموازي للشارع الذي نمر منه، وكان هذا من حسن الحظ، ولكن لا راد لقضاء الله.

وصلنا على الفور لنجد أمامنا رجلا فى الخمسين من عمره، ممدداً في وسط الطريق، والدماء تغطي الطريق من حوله، وكانت الإصابة للأسف في الرأس مباشرة، وكان هناك أجزاء من المخ خارج الرأس، وكان المنظر بشعًا، حتى أن زميلي خاف من المنظر وابتعد بعيداً عن المكان بعد أن تأكد أنها حالة وفاة لا تحتاج إلى شيء، ولكن في لحظات جاء إلي سائق الإسعاف مسرعًا وقال إن هناك ضابطا وصل إلى المكان ويريد طلب هليكوبتر للمصاب، فقلت للسائق: «هذا ليس مصابًا، إنه متوف».

كان الأمر غريبًا بعض الشيء؛ فهذا تدخل في عملنا، وليس من حقه، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، لقد جاء الضابط

obeikan.com

إليّ وقال لي: «أريد طلب هليكوبتر للمصاب»، قلت: «سيدي، هذا ليس مصابًا، فهناك وفاة قطعية لا شك فيها»، قال: «أنا آمرك بطلب هليكوبتر لهذا الشخص، فهو من جنسية لها أهميتها» قلت:«سيدي، نحن نتعامل مع كل البلاغات دون أن نلقي أي اهتمام لشخص ولا لجنسية المصاب»، ولكن الضابط لم يستمع إلى ما قلنا واتصل هاتفيًّا بغرفة العمليات وطلب هليكوبتر في هذا المكان فورًا، وبعد لحظات اتصلت بي غرفة العمليات لمعرفة الحادث وأخذ التفاصيل وإبلاغي أن هناك طلبا للهليكوبتر، قلت: «أنا لم أطلب شيئًا» قال لي مسئول غرفة العمليات في القسم الطبي إن هناك ضابطًا اتصل وطلب هليكوبتر، وأنا قد اتصلت لتجهيز الطائرة، وبالفعل وصلت الطائرة بعد دقائق، وما كان مني أنا وفريق العمل إلا أن جهزنا المصاب، رغم أنني أعرف أن كل الإجراءات خطأ، وهذا الأمر لن يمر بسلام، وأنا قد أبلغت غرفة العمليات أنني أخلي مسئوليتي تمامًا من هذا الإجراء، فأنا لم أطلب شيئًا.

وسلمنا المتوفى إلى غرفة الطائرة التي تحركت على الفور إلى المستشفى، وأنا أبلغت طاقم الطائرة أنني خال من المسؤولية تمامًا، قال لي زميلي في الطائرة: «هذا أمر غرفة العمليات، وأنا مثلك أخلي مسئوليتي»، وقامت الطائرة بتوصيل المتوفى إلى

المستشفى، وهذا الأمر قد أزعج المستشفى تمامًا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، لقد رفعت المستشفى تقريرًا في طاقم الإسعاف، الأمر الذي دعانا إلى الرد بتقرير آخر على تقرير المستشفى مرفوع إلى إدارتي التي لم تخذلني، واتخذت الإجراءات اللازمة والتحقيق في الأمر الذي أثبت للجميع أننا لم نتصل بغرفة العمليات لطلب الطائرة، ورفع التقرير إلى قائد غرفة العمليات الذي اتخذ اللازم تجاه الأمر وتمت مراجعة كل المكالمات التي وردت إلى غرفة العمليات فى هذا الوقت، وتم اكتشاف الخلل الذي تم بعده استدعائي أنا وفريق العمل في هذا اليوم إلى مقابلة قائد العمليات الذي قام بالتحقيق معنا بنفسه، وقال:

«نحن نأسف لما حدث، وأعد بأن تتم محاسبة المسئول عما حدث، مع وعد بإصدار قرار بعدم التدخل في عملكم من قبل أي شخص». وقد استدعى قائد العمليات الضابط الذي اتصل وطلب الطائرة وقال له أمامنا:

«إن هؤلاء الناس مسئولون عن أي خطأ يحدث، ولا يصح أن يتدخل أحد في عملهم، من فضلك أتمنى ألا يتكرر هذا الأمر مرةأخرى»، وخرجنا من عند قائد العمليات بعد إعطاء كل ذي حق حقه فيما حدث، وكان هذا هو المتوقع من قبل إدارة تخاف الله وتعمل كل ما في وسعها للحفاظ على النظام والأمن، كان هذا

حادثًا شخصيًّا لا يمثل هذه الإدارة الرشيدة، وتم الاعتذار لإدارة المستشفى عما حدث، وكان هذا الأمر آخر مرة أراه أو يحدث معنا لأبقى كما أنا.

●●●

obeikan.com

بلاغ داخل البلاغ .. قتيل ومصاب

شـيء لـم أتوقعـة؛ أن يأتـي إلـي بـلاغ وأنـا داخـل بـلاغ آخـر، وإليكـم مـا حـدث.

بـلاغ غرفـة العمليـات في هـذه المـرة لـم يكـن غريبًـا علـي، لقـد كان البـلاغ يحمـل في طياتـة الغمـوض الـذي أعشـق تفاصيلـه، لقد كان البـلاغ إلـى سـيارة الإسـعاف عبـارة عـن لغـز لا يحـل إلا بعـد أن نصـل إلـى المكان المقصـود. النـداء إلـى سـيارة الإسـعاف أشـار إلـى أنـه عنـد مـرور شـخص بالقـرب مـن كركـون (بيـت خشـبي) في منطقـة العمـال وجـد أقـدام شـخص تحـت الكركـون، وكان هـذا الصنـدوق الخشـبي هـو سـكن للعمـال فـى هـذا المكان.علـى الفـور تحركنـا إلـى هـذا المكان ووصلنـا إلـى هنـاك في دقائـق معـدودة لنجـد مكانًـا معـدًّا لبنـاء عمـارة جديـدة، وكان هـذا الصنـدوق الخشـبي -الواقـع بـين عـدة صناديـق- بمثابـة السـور الخارجـي لهـذا الموقـع، وعلـى بعـد عـدة خطـوات توجـد بوابـة خشـبية، ولا يوجـد أي شـخص في المـكان، ومـا فهمنـاه مـن الأشـخاص الموجودين في المكان أن هـذا المكان قـد أعـد لبنـاء عمـارة جديـدة، ولكـن بعـد فتـرة مـن العمـل اختفـت شـركة المقـاولات مـن المكان، بعـد أن بـدأوا في العمـل بعـدة أسـابيع، وأصبـح المكان مهجـورًا لا يقتـرب منـه أحـد.

obeikan.com

دخلت من الباب الخشبي الذي كان مفتوحًا فتحة صغيرة لا يمر منها سوى شخص واحد، حملت حقيبة الإسعاف ودخلت إلى المكان لأجد أمامي حفرًا عميقة في مكان متسع جدًّا وليس هناك سوى ممر ضيق جدًّا لا يمر منه إلا شخص واحد بحذر شديد، حملت الحقيبة ومررت بحذر شديد جدًّا خوفًا من أن أقع فى الحفر العميقة وأحتاج بنفسي إلى من ينقذني، وصلت إلى مكان الرجل الراقد تحت الصندوق الخشبي، وكان خلفي زميلي يحمل جهاز القلب ومن خلفه السائق، ووصلنا إلى هناك لنجد المفاجأة الصاعقة التي لم نتوقعها جميعًا، لقد وجد هذا الرجل مهشم الرأس تمامًا،أو لتوضيح أكثر كان هذا الرجل دون رأس، كان المنظر مخيفًا إلى حد كبير جدًّا، ويحمل من البشاعة ما لا أستطيع وصفه لكم، تأكدنا أن هناك جريمة قتل، وهذه الجريمة قد مر عليها وقت طويل جدًّا؛ عدة أيام، وفي هذه الأثناء كانت قد وصلت سيارة الشرطة إلى المكان، كل هذا الذي أحكيه حدث في دقائق معدودة، خرجت أنا وفريق العمل من هذا المكان وقابلنا الشرطي، وكان يبدو أنه حديث العهد بالعمل، قلت له إن المنظر لا يتحمله أحد،قال لي:«من فضلك اصحبنى إلى هناك» قلت له:«هل تحمل من الشجاعة ما يكفي لتحتمل المنظر؟» قال:«نعم، لا تخف».

obeikan.com

ذهبت أنا وهو إلى مكان القتيل، وكان الشرطي من خلفي، وصلنا إلى هناك وكنا قد وضعنا غطاء فوق الجثة مع الحفاظ على عدم لمس أي شيء في المكان، وهنا قال لي الشرطي:«من فضلك، اكشف الغطاء لأرى ماذا حدث» قلت له هل أنت مستعد؟ وكشفت الغطاء، وكانت الصدمة، لم يتحمل الشرطي المنظر وسقط مغشيًّا عليه، وبفضل الله كان هزيل الجسد، فحملته على كتفي وذهبت مسرعًا بحذر شديد إلى سيارة الإسعاف، وأنا أنادي بصوت عال على زميلي الذي كان يعد تقريرًا عن حالة القتل التي وجدناها، قابلنا في وسط الطريق زميلي والسائق كان خلفه، وعلى الفور أخذنا هذا الشرطي إلى داخل سيارة الإسعاف، وقمنا بالكشف عليه لنجد أنه تعرض لهبوط حاد في الدورة الدموية، وعلى الفور قمنا بإبلاغ غرفة العمليات بما حدث، والتحرك فورًا من المكان إلى المستشفى لإنقاذ هذا الشرطي زميل العمل، وقمنا بعمل اللازم في الطريق،لقد كان هذا المكان يبعد بعض الشيء عن مكان المستشفى، ولكن السائق الذي كان معي كان محترفًا وأخذ أقصر الطرق، قمنا بتوصيل جهاز القلب إلى صدر الشرطي المصاب، وتعليق جهاز مغذٍّ لنحاول رفع صغط الدم قبل أن نصل إلى المستشفى، وكان الأمر يزيد سوءًا في الطريق ونحن نسابق الزمن، وكنت أتحدث إلى الشرطي وأقول:«اصمد صديقي العزيز، اصمد

أرجوك،أنـا لا أتحمـل أن أفقـدك» وكأنمـا كان يسـمعني ويسـتجيب إلـى اسـتغاثتي وإلـى الـدواء، وهـذا مـا ظهـر داخـل جهـاز القلـب، لقـد ارتفـع المؤشـر ليقـول إن ضغـط الـدم يرتفـع عمـا قبـل.

وصلنـا إلـى المستشـفى ونحـن في حالـة شـبه اسـتقرار، كنـت أضحـك وأبكـي في الوقـت نفسـه، وأقـول سـبحان اللّه، بـلاغ داخـل بـلاغ، أي بـلاغ مركـب. نزلنـا إلـى المستشـفى وشـرحت للأطبـاء مـا حـدث؛ الأمـر الـذي اسـتدعى مـن المستشـفى إدخـال المصـاب إلـى غرفـة الإنعـاش حتـى يكـون تحـت الملاحظـة، وعندمـا تحركنـا مـن مكان البـلاغ القـديم الـذي كنّـا فيـه كانـت قـد قامـت غرفـة العمليـات بإرسـال سـيارة إسـعاف أخـرى لإكمـال مـا بدأنـا.

وقـد دخلـت إلـى الشـرطي المصـاب الـذي سـلمته حتـى أطمئـن عليـه، وكان قـد اسـتعاد وعيـه بعـض الشـيء، وقلـت لـه: «مـا هـذا يارجـل؟ لقـد أوقعـت قلبـي، ولكـن الحمـد للّه أنـك بخيـر»، وقلـت لـه إن هـذا الأمـر قـد حـدث معـي في بدايـة حياتـي عندمـا كنـت في فتـرة التدريـب، وأننـي أتمنـى مـن اللّه أن يكـون بخيـر ويعـود إلـى عملـه، وخرجـت مـن المـكان لأعـود وأكمـل عملـي.

●●●

obeikan.com

بلغ العمر .. ليس غرقًا فقط

هذا البلاغ في هذه المرة بلاغ العمر،البلاغ الذي كلما وضعت يدي على رأسي أتذكره، لقد ترك علامة في رأسي،أتتخيلون؟ رأسي مفتوحة بجرح عميق ولم أتوقف عن العمل، وكان ذلك في الساعات الأولى من صباح هذا اليوم العجيب، عندما تلقينا البلاغ الأول في هذا اليوم، وكان هذا اليوم هو أول يوم لي في هذا المكان، فنظام عملي يتغير كل شهر من مكان إلى آخر، جاء النداء، وبدل أن أفيق من النعاس على فنجان قهوة، أفقت على صوت جهاز اللاسلكي، ولكن هذا هو عملي، وأحبه.

جاء النداء:«اسعاف كذا اتجه إلى الميناء، فهناك داخل الميناء حادث سيارة»، وبفضل الله كنّا على مقربة من المكان، لم يتجاوز الأمر ثواني معدودات وكنا أمام الحادث، لأجد أمامي حادثًا غريب الأطوار من نوع جديد لم أعهده من قبل، وغرابة هذا الحادث تكمن في تركيبته نفسها، كنّا أمام سفينة من النوع الكبير؛ من سفن البضائع، وكانت تحمل على متنها سيارات، وكانت هناك رافعة (ونش) تقوم بإنزال السيارات من على السفينة، وكان على ظهر السفينة عمال كثيرون يقومون بربط السيارات في أحبال الونش، ويقوم الونش برفع السيارة وإنزالها إلى الأرض في المكان

obeikan.com

المعد لها، وهنا كان الحادث الذي أذهل الجميع؛فعند ربط سيارة من نوع سيارات الدفع الرباعي ثقيلة الوزن، يبدو أنها لم تُربط بشكل جيد، أو انقطع أحد الأحبال الممسكة بها، وعندما قام الونش برفعها وأحد العمال الذين قاموا بالربط يقف أسفلها انقطع أحد الأحبال أو الأسلاك الحديدية الممسكة بها،وشاهد العامل سقوط السيارة فخاف أن تسقط فوقة فقفز في الماء، ولم يكن الحظ في صف هذا العامل المسكين، فلم تكن إلا لحظات وانقطعت كل الأحبال الممسكة بالسيارة، وحاول سائق الونش أن يغير مكان السيارة، ولكنه فشل في ذلك، وكان سقوط السيارة أسرع منه، وسقطت خلف العامل مباشرة، وقبل أن يصل هذا العامل إلى القاع لحقت به السيارة واستقرت فوقه في الماء، وكان استقرار السيارة يحجز العامل تمامًا عن الحركة، لقد سقطت على قدميه فشلت الحركة عنه تمامًا، وأصبح أمام عيني وهو لا ينطق ولا يستطيع الحركة، ساكن كما يسكن البحر في هدوئه وكل ما حوله يتحرك، هذا كله ما قاله لي ضابط الحركة في هذا الميناء الكبير، ومن المصادفة العجيبة أن فريق الإنقاذ وصل معنا في الوقت نفسه، ونزل إلى الماء، وقاموا بربط السيارة في حبل الونش مرةأخرى، وبدأ الونش يحرك السيارة ببطء شديد حتى لا تحدث أية إصابات في العامل المسكين. كنت أنا وفريق العمل معي

مستعدين بكل معدات الإسعاف اللازمة لإسعاف هذا المصاب بعد خروجه من الماء، وكنت أرسم في خيالي صورة كاملة لكل ما سوف أجد، لابد أن هناك كسورا في القدمين، هذا غير ابتلاعه كمية كبيرة من الماء، فإلى الآن مضت أكثر من ثماني دقائق على بقائه تحت الماء، يا لك من مسكين أيها الرجل.

نجح رجال الإنقاذ في إخراج الرجل من الماء، وبدأت مهمتي الشاقة، سألت الله أن يعطيني القوة حتى أستطيع إنقاذ هذا الرجل ويعود إلى أهله بسلام، تخيلت أبناء هذا الرجل وأنا أتحسس النبض من رقبته، يا الله كن معي، تحدثت إلى زميلي على الفور وقلت له:»هناك نبض، هناك بريق أمل» قلت يارب وبدأت العمل والضغط على الصدر، وقمنا بوضع المصاب على جانبه في محاولة لإخراج الماء الذي دخل إلى صدره، وقمنا بتوصيل الأكسجين وحملنا الرجل على نقالة الإسعاف، وتحرك السائق بأقصى سرعة ممكنة، وكان ينطلق وسيارة من سيارات الشرطه تسير أمام سيارة الإسعاف تفتح لها الطريق، لم أتوقف لا أنا ولا زميلي عن العمل، وأثناء انطلاق السيارة كان أمامه أحد المطبات الكبيرة، حاول أن يقلل السرعة، ولكن لا، محال، كنت أنا في هذا الوقت أقف بجوار المريض أضغط على صدره، ولم أجد نفسي إلا وأنا أصطدم بسقف السيارة بقوةبرأسي.

أكملت عملي وأنا أشعر أن الدم يسيل فوق وجهي، لم أتوقف لا أنا ولا زميلي، كان هناك أيضا كسر في عظام القدم اليمنى، فقام زميلي بتثبيت الكسر، وكانت هناك في هذه الأثناء مؤشرات جيدة يعطيها جهاز صدمات القلب، كنت لا أتوقف عن التمسك بربي وأدعوه ألا يضيع تعبي ولا تعب كل من شارك في العمل، وأن يعود هذا الرجل بسلام إلى أهله سالمًا غانمًا، ولم تمضي إلا دقائق معدودة وكنا أمام المستشفى، وأنزلنا النقالة ودخلنا إلى قسم الطوارئ وأنا أتحدث بصوت عال إلى فريق الطوارئ داخل المستشفى وأشرح ما حدث، تعاون فريق المستشفى معي على وجه السرعة وأدخلنا المصاب إلى غرفة الإنعاش، لم أتقابل مع مثل هذه الحالة من قبل،كنت أسال الله ألا يضيع تعبي، تخيلت أنني أنا مكان هذا الرجل، وأهلي في انتظار عودتي إلى منزلي، كان فريق الطوارئ يعمل بكل جهد ولا يكل ولا يمل من أجل إعادة النبض والحياة إلى هذا الرجل، ولم تمض إلا ثوان معدودات وجاء الفرج من عند الله؛ ظهرت على الجهاز علامات القلب، وقال الطبيب:»الحمد لله، لقد عاد الأمل» هنا فقط التقطت أنفاسي وحمدت الله عز وجل، وخرجت من باب المستشفى إلى سيارة الإسعاف وأنا فرح سعيد بما فعلت اليوم، هذا أنا وهذا عملي.

●●●

obeikan.com

أنا والمصاب نحتاج إلى إسعاف!

يقف على جانب الطريق ينتظر سيارة الإسعاف، كان هذا هو شقيق المريض، عندما أبلغتنا غرفة العمليات عن عنوان البلاغ، وكان العنوان غريبًا على السائق الذي معي؛ لأنه حديث العهد فى العمل،لقد أمضى في عمله ما لا يزيد على شهر، فقال مسئول العمليات:

«سوف أنسق الأمر مع المتصل»، واتصلت غرفة العمليات بالسائق هاتفيًّا واتفقت معه على أن شقيق المريض سوف ينتظر على جانب الطريق بسيارته، كان يبدو أن حالة المريض حرجة وتحتاج إلى السرعة حتى يتم إنقاذه، واتجهنا إلى المكان المتفق عليه،وانطلق السائق بأقصى سرعة ممكنة، ووجدنا الرجل ينتظر في المكان المحدد، وانطلق وانطلقنا خلفه مباشرة، وأنا أتحدث إلى الرجل في الهاتف بعد أن أوصلتني غرفة العمليات به لأعرف منه ما حالة المريض، وكان يصف لي ما حدث مع أخيه،فقال إنه مريض ضغط وسكر، وفجأة أصابته غيبوبة، قلت لا تخف نحن خلفك تمامًا وسوف نصل في الوقت المناسب ونقوم بعمل اللازم بإذن الله.

obeikan.com

كل ما كان في ذهني في ذلك الوقت هو حالة هذا الرجل الذي يحتاج إلى مساعدة، لم أتوقع ما حدث، ولم أكن أتوقع أنني أنا من يحتاج إلى المساعدة، وبعد لحظات جاءت المفاجأة الكبرى المذهلة، وفي هذه الأثناء عبر الرجل إشارة مرور، وكانت الإشارة خضراء، ونحن خلف سيارته تمامًا،وهنا حدث مالا يتوقعه بشر، لقد عبرت سيارة من الطرف الآخر قاطعًا سائقها الإشارة الحمراء واصطدم بكل قوةبسيارة الإسعاف، وانقلبت سيارة الإسعاف، وهذا كل ما أذكره، لأفيق بعد لحظات وأنا ممدد على نقالة إسعاف أخرى جاءت لإنقاذي. كنت أعاني ألما شديد في كتفي الأيمن، الأمر الذي استدعى ربط زراعي برباط في رقبتي، وانطلق الإسعاف بي إلى المستشفى وأنا أصرخ من الألم لأعرف ما حجم الألم الذي يعاني منه كل مريض أنقله إلى المستشفى.

وبعد فحصي من الأطباء وجدوا أن هناك خلعا في زراعي الأيسر، وقد كان كل همي هو السؤال عن المريض الذي كنّا في الطريق إليه، فقال لي مديري الذي وصل إلى المستشفى ليطمئن على حالتي،:«لا تخف، لقد ذهبت سيارة إسعاف أخرى إلى البلاغ الذي كنت ذاهبًا إليه، وتم إنقاذ الرجل بسلام، وهو الآن في المستشفى»، كنت أثق في المؤسسة التي أنتمي إليها، وأثق في غرفة العمليات التي سيطرت على الوضع بطريقة تستحق التقدير

obeikan.com

والاحترام، لقد أرسلوا سيارة إسعاف أخرى لإكمال البلاغ، وأرسلوا سيارة إسعاف أخرى لإنقاذي، يا لها من مؤسسة عظيمة هدفها الرئيسي هو الحفاظ على الأرواح في أصعب الظروف.

بعد ذلك بقيت أنا في المستشفى لتلقي العلاج اللازم، وقد سألت عن زميلي وعن السائق فقالوا إن الجميع بخير ولم يُصب أحد بأذى، حمدت الله على ذلك، بعد لحظات وجدت زوجتي وبناتي حولي في المستشفى، لقد حضروا مع أحد زملائي بعد أن تحدث مديرى إلى زوجتي وقال لها:»لا تقلقي،إن الوضع بخير، وزوجك بين أيد أمينة، وسوف تحضرين إلى هنا لتشاهدي بنفسك».

حمدت الله على ما حدث، وحمدت الله أيضًا على أنني أنتمي إلى هذه المؤسسة العظيمة التي تعطي لكل فرد قدره واحترامه، كنت أتمنى من الله أن أقوم بسلام حتى أعود مرةأخرى إلى عملي الذي أعشقه وأحبه.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

نصف المصاب يحتاج إلى إسعاف

لم أتوقع أن أقابل مثل هذا البلاغ في حياتي كلها، فمنذ أكثر من سبعة عشر عامًا لم أقابل مصابًا أصيب بهذه الطريقة؛ سيارة نقل تحمل مواد بناء تمر بعجلاتها الخلفية الأربع فوق عامل بناء، كان خلف السيارة ولم ينتبه له السائق، لقد حدث هذا في ظهر هذا اليوم الذي كنت قد تسلمت فيه عملي قبل عدة ساعات، ولم يكن هذا هو البلاغ الأول لي.

جاء النداء إلينا ونحن في وسط الطريق عند عودتنا من المستشفى بعد أن سلمت مريضًا في البلاغ الأول، وكان البلاغ بسيطًا، وجاء هذا البلاغ الثاني ليحرك في داخلي كل شيء، كان بمثابة إعادة تشغيل، كما تفعل فى جهاز الكمبيوتر، تحركنا إلى المكان الذي حددته غرفة العمليات، وكنا نبعد عنه حوالي سبع دقائق، نزلت إلى أرض البلاغ أو إلى أرض المعركة لأجد أمامي شابًّا في الثلاثين من عمره، نصف جسمه غارق تحت الرمال، تحت سيارة نقل من الحجم الكبير،بين العجلات الخلفية والأمامية بعد أن مرت على نصف جسمه العجلات الخلفية الأربعه،كانت السيارة محملة برمال للبناء، وكان هذا العامل خلف السيارة ولم ينتبه السائق لوجوده خلفها فدهسه وغاص نصف جسم العامل

obeikan.com

في الرمال، لأجد أمامي مشكلة كبيرة في معرفة الأصابة بالتحديد، إلا أنني كنت أرى الرمال مشبعة بالدماء، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الإصابة بليغة.

نزلت بكل قوتي إلى أسفل السيارة، وبقيت أحفر في الرمال من حول المصاب، وإذا بي يظهر أمامي حوض الشاب محطمًا تمامًا،أحضرت من عندي ملاءة سرير ونزلت بها من حول المريض، وأخذت طرف الملاية من الناحية الأخرى، وجئت من عند رأس المريض وأنزلت النقالة المعدة لتثبيت العمود الفقري، كان زميلي في هذه الأثناء قد وجد وريدًا للمريض لمحاولة تعويض الدم الذي فقده، وقد نجحت أنا بمساعدة السائق في تمرير النقالة البلاستيكية من تحت المريض بكل حذر حفاظًا على عموده الفقري، وكانت الجروح الموجودة في منطقة الحوض كثيرة جدًّا وتغطيها الرمال من كل اتجاه.

خرجت بهذا المريض من تحت الرمال بعد معاناة،كنت أشعر أن ظهري لم يعد موجودًا من شدة الألم، وضعت المصاب فوق نقالة الإسعاف وأدخلته إليها وأنا أفكر في حجم الإصابة التي أمامي، وعندما دخلت إلى سيارة الإسعاف وبدأنا في التحرك كان الوضع يزداد سوءًا أكثر فأكثر، سألت الله -عز وجل-أن يكون معي حتى أصل إلى المستشفى، قمت بتوصيل أكثر من

obeikan.com

مغذ لتعويض الدم المفقود من جسم المريض، وقمت بغسل مكان الإصابة بأكثر من زجاجة محلول ملح مطهر لأرى حجم الإصابة ومكانها، وقد ظهر أمامي ما لم أكن أتوقع، لقد ظهر أمامي العمود الفقري وحوض المريض ليس في مكانه، كل ما عليّ الآن هو تعويض الدم وأن أصل إلى المستشفى بأقصي سرعة.

تحدثت إلى السائق:»كم بقي لنا لنصل إلى المستشفى؟» قال:»حوالي خمس دقائق».

كنت ألاحظ وجود سيارة الشرطه أمامنا مباشرة لمساعدتنا في الوصول بأقصى سرعة، كنت أبحث عن وريد آخر حتى أوصل محلول ملح آخر،أصبح الآن لدي أمل بعد أن وجدت نبض وضغط المريض في وضع ليس سيئًا، كنت أدعو الله من كل قلبي أن أصل في أسرع وقت، لو كان أمامي جرح ظاهر مهما كان حجمه كنت أستطيع إيقاف النزيف، لو كان هناك كسر كنت أستطيع تثبيته، ولكن في هذه الحالة ماذا أفعل! الوضع غريب جدًّا وصعب علي،أنا أتوقع أن هذا المريض قد فقد نصفه هذا إن كان هناك أمل له في الحياة.

وصلت إلى المستشفى، وكانت فرحتي لا تقدر، القلب سليم والرأس كذلك، نزلت مسرعًا لأجد رجال المستشفى أمام

obeikan.com

سيارة الإسعاف لمساعدتي في الخروج من السيارة والدخول إلى المستشفى، شرحت وأنا في الطريق إلى غرفة الإنعاش الوضع بصوت مرتفع حتى يسمعني الجميع، دخلنا إلى الغرفة وتم نقل المصاب إلى سريره، وبدأ فريق العمل في التعامل مع المصاب بكل سرعة. تجدد الأمل داخلي، وكانت سعادتي لا توصف بما فعلت.

ذهبت إلى الحمام حتى أغتسل من الدم الذي كان يغطي كل قطعة في جسدي، لقد كان الدم يغطي وجهي وملابسي تمامًا، بعد أن غسلت وجهي عدت إلى غرفة الإنعاش لأجد أن المصاب قد نقل على الفور إلى غرفة العمليات ومعه فريق من الأطباء في كل التخصصات، لن يرتاح قلبي قبل أن أعرف ماذا حدث لهذا المصاب، وكان عملي قد اقترب من الانتهاء، ذهبت مع سائق الإسعاف الذي كان الدم يغطي ملابسه هو الآخر، وذهبنا إلى مكان تبديل العمل، سلمت سيارة الإسعاف بعد أن عوضت كل ما نقص من مواد قد استخدمتها في الحادث السابق، ودخلت إلى الحمام لأغتسل بعد أن أحضرت ملابسً احتياطية لي كانت موجودة داخل سيارتي، وبدل أن أذهب إلى البيت حتى أرتاح من تعب هذا اليوم الشاق،أخذت سيارتي وذهبت إلى المستشفى حتى أعرف ماذا حدث، لقد شغل هذا المصاب بالي،كم كنت أشتاق لأن أعرف ماذا حدث، وصلت إلى المستشفى ودخلت مسرعًا إلى

مكان غرفة العمليات، وقد مرت أكثر من ساعتين منذ أن تركت المكان، ذهبت إلى الكافتيريا وجلست هناك حتى آخذ قسطًا من الراحة، وتحدثت في الهاتف إلى زوجتي وبناتي حتى أبلغهم أنني لن آتي إلى المنزل في هذا اليوم، كان سؤال بناتي:

لماذا يا أبي؟ ألم تنه عملك؟

قلت لهن:

«لا. أمامي بعض الساعات حتى آتي إلى المنزل»

وتحدثت إليّ زوجتي بتعجب:«أين أنت؟» شرحت لها الوضع، وكانت زوجتي تتفهم طبيعة عملي، قالت:«أنا في انتظارك حتى تأتي» وبعد حوالي ساعتين ذهبت إلى غرفة العمليات مرةأخرى، وتحدثت إلى ممرض صديقي يعمل في العمليات، كان قد حضر لتسلم عمله، قلت له:

«من فضلك، اذهب إلى الداخل وأخبرني عن الوضع»

قال لي: «أعطني بضع الدقائق».

ذهب إلى الداخل وخرج بعد خمس دقائق وقال لي: «تقريبًا اقترب الأطباء من الانتهاء» قلت: «كم يحتاجون من الوقت؟» قال: «حوالي الساعة»، سألته عن حالة المصاب، قال لي إن الوضع مستقر.

obeikan.com

ذهبت إلى (الكوفي شوب) مرةأخرى، وطلبت قهوة للمرة الرابعة، وجلست أشربها وذهني لا يتوقف عن التفكير في حالة المصاب، لقد قتلني الفضول وأريد أن أعرف ماذا حدث،أريد أن أطمئن عليه حتى أعرف ماذا حدث له، وهذا من حجم الإصابة التي رأيتها، كنت في حالة قلق شديد، وكأن هذا المصاب من أهلي، كنت أنظر إلى ساعتي كل خمس دقائق، وأحسب الوقت بشغف،أنهيت قهوتي وذهبت مسرعًا إلى الطابق العلوي حيث غرفة العمليات كي يستريح قلبي، وعندما ذهبت لم أجد أحدًا هناك، سألت إحدى الممرضات التي كانت مشغولة بترتيب غرفة العمليات، قلت لها: «أين ذهب الجميع؟» قالت لي: «لقد ذهب المريض إلى قسم العناية المركزة» قلت لها: «وكيف هي حالته؟ «قالت: «إنه بخير»، ذهبت مسرعًا إلى قسم العناية المركزة، وتحدثت من خلف الباب إلى إحدى الممرضات، وقلت لها:«من فضلك أن تبلغيني كيف هي حالة المريض الذي حضر الآن؟ «قالت: إنه في مرحلة الإفاقة».

ليس أمامي الآن سوى أن أذهب إلى منزلي كي أرتاح بعض الوقت، وغدًا آتي إلى هنا لأسأل عليه وأطمئن، كاد التعب يقتلني، ذهبت إلى سيارتي، وأنا لا أكاد أفتح عيني من التعب، لا أعرف كيف وصلت إلى البيت، صعدت إلى بيتي وأنا قمة في التعب، وكانت زوجتي في انتظاري، وعندما دخلت سألتني عن

obeikan.com

حـال المصـاب، وكأنهـا كانـت معـي، ودون أن أفعـل أي شـيء جلسـت علـى الأريكـة أمـام التلفـاز كـي ألتقـط أنفاسـي، وإذا بـي أفيـق في اليـوم الثانـي وأنـا بملابسـي جالـس في مكانـي، قمـت مسـرعاً وبدلـت ملابسـي وقبلـت بناتـي وزوجتـي وذهبـت مسـرعًا إلـى المستشـفى.

هـا أنـا أقـف أمـام غرفـة العنايـة المركـزة أتحـدث إلـى الممرضـة، سـمحت لـي بالدخـول بعـد أن عرّفـت عـن نفسـي، وبعـد أن ارتديـت الملابس المخصصـة للدخـول إلـى هـذا المكان، هـا أنـا الآن أقـف أمـام المريـض، ويبـدو في حالـة جيـدة، كشـفت الغطـاء عـن جسـده لأرى الجبس يغطـي كل نصفـه، عرّفـت عـن نفسـي، وقلـت لـه مـا حـدث لـه أمـس، وقلـت له:»الحمـد للّه أنـك بخيـر».

خرجـت أبحـث عـن الطبيـب كـي أسـاله عـن حالـة هـذا المصـاب، قـال لـي إنـه أجـري أمـس عشـر عمليـات، وأن الوضـع جيـد، ولكـن لا تعـرف النتائـج الآن، لابـد مـن وقـت حتـى نعرفهـا. حمـدت اللّه على ما وصلـت إليـه مـع هـذا المصـاب، هـذا هـو عملي،وقلـت بـإذن اللّه سـوف آتـي الأسـبوع المقبـل حتـى أعـرف مـاذا حـدث لهـذا الرجل،وذهبـت إلـى المنـزل، فاليـوم يـوم إجازتـي.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

المصعد لا يعمل

لم أكن وحدي في هذه المرة، ولم أكن الإسعاف الوحيد الذي تلقى هذا البلاغ، كان البلاغ عبارة عن كارثة كادت تودي بحياة الكثيرين من البشر، كان هذا البلاغ في وقت الغروب،وكانت الساعة حوالي الخامسة من عصر هذا اليوم، كنت أول من وصل إلى مكان البلاغ، وكانت غرفة العمليات معي على الهاتف وتريد مني تقييم الموقف ونقل الصورة كاملة لما يحدث.

وجدت فريق المطافئ قد وصل إلى الموقع قبل وصولنا، وذهبت مسرعًا لأعرف من هو مسئول الموقع لأعرف منه ماذا حدث، قال لي إن الوضع خطير، يوجد أكثر من ثلاثين شخصًا محتجزين داخل مصعد هذا البناء الشاهق جدًّا، وقال لي إن أحد الأسلاك الممسكة بالمصعد قد انقطعت، قلت له:«والمصعد متوقف في أي طابق؟» قال لي إنه في الطابق المائة والعشرين. أبلغت على الفور أنه حتى الآن لا توجد إصابات، ولكنني أحتاج إلى عشر إسعافات وإلى إبلاغ المدير عما حدث، قال لي إن الإسعافات في طريقها إليك، وقام بتحويلي إلى مديري على الفور، ونقلت له الصورة كاملة، قال لي:

«أنا في طريقي إليك» أغلقت الهاتف، وسمح لنا فريق الدفاع المدني بالصعود معه إلى مكان توقف المصعد، وكان هناك مصعد معد للطوارئ، صعدنا معًا أنا وفريق العمل الذي كان معي، ووصلنا إلى المكان المحدد، وكان فريق الدفاع المدني ومعه فريق الإنقاذ يحاولون فتح باب المصعد لإخراج الناس من داخله، رسمت في خيالي ما سوف أجد من حالات تحتاج إلى إسعاف، قلت: لقد بقي هؤلاء البشر داخل المصعد لأكثر من ربع ساعة في هذا المكان الضيق، ومع قلة الأوكسجين جهزت معي أكثر من اسطوانة حتى أستطيع السيطرة على الموقف، وفي هذه الأثناء وصل عدد كبير من زملائي، وسبحان الله كان الجميع يفكر في الأمر نفسه، لقد أحضروا عددًا من اسطوانات الأوكسجين يكفي ويزيد عن عدد المصابين.

جاء إليّ أحد مسئولي الإسعاف وتسلم مني الموقع لأنني أول شخص وصل، وفي هذه الحالة أكون أنا المسئول إلى أن يأتي المسؤول ويتسلم مني الموقع، شرحت له كل ما حدث قبل وصوله، وفي هذه الأثناء كان فريق الدفاع المدني قد نجح في إخراج أول المحتجزين داخل المصعد، لقد كانت امرأة ومعها زوجها، وما زاد الطين بلة أن هذه السيدة حامل في الأشهر الأولى، وكانت هذه الحالة من نصيبي، وكانت تعاني هبوطا في ضغط الدم، هذا بعد

obeikan.com

أن عرفت لها عن نفسي وقمت بفحص السكر والضغط، قالت لي إنها في الشهر الثالث من الحمل.كان كل من زملائي قد تسلم حالة خاصة به، وكان كل واحد منهم له قصة مع الحالة الخاصة به، وإليكم ما حدث معي:

جلست بالقرب من هذه السيدة بعد أن قمت أنا وزميلي بنقلها إلى مكان واسع حتى أستطيع التعامل معها، وبدأت شيئًا فشيئًا تتحسن حالتها وتفيق بعض الشيء، الأمر الغريب أنها رفضت رفضًا باتًّا أن تنزل مرةأخرى في المصعد المعد لحالات الطوارئ، وهذا قد زاد الأمر صعوبة أمامي، فأنا أوصلت لها جهاز الأوكسجين، اقترب مني مسئولي في قسم الإسعاف، وأخبرته أن هذه السيدة تعاني فوبيا من ركوب المصعد، وتريد النزول على السلم، قال لي:

«نادر، نحن في الطابق المائة والعشرين! أي سلم تتحدث عنه» قلت له:«من فضلك أحضر لي أحد أفراد أمن البرج» حضر مسئول الأمن ونقلت له الصورة كاملة، ذهب إلى السيدة لمحاولة إقناعها أن النزول على السلم سوف يكون متعبًا ومرهقًا لها كثيرًا، ولم يخرج مسئول الأمن منها بشيء فعاد إلي وقال:

«لا جديد، تريد النزول على السلم».

obeikan.com

حملت معي شنطة الأوكسجين والسيدة تسير بجانبي واتجهنا إلى السلم، وكان الأمر يزداد صعوبة، كيف لي أن أحافظ على السيدة لأكثر من مائة وعشرين طابقًا؟ وكان يبدو عليها الإعياء! بدأنا أول خطوات السلم، ومعي زوجها فقط، وكان بقية أفراد الإسعاف مشغولين ببقية المصابين،وبدأت الرحلة ومعي هذه السيدة، وكنا نتبادل الحديث أنا وهي وزوجها.

وعرفت منها أنها كانت رافضة منذ البداية الصعود مع زوجها إلى هذا الطابق المرتفع، ولكن زوجها أصر على ذلك، ضحكنا أنا وزوجها على ما قالت وأكملنا الطريق الطويل الذي لم ينتهِ منه سوى طابقين، قلت لها:»المشوار مازال طويلا».

قالت: «وإن كان، لا أريد أن أركب المصعد».

كان المتعب لي في الأمر أنني أنزل السلم وأنا أحمل معي جهاز ضربات القلب والضغط، أسطوانة أوكسجين صغيرة معدة لمثل هذه الحالات، وها نحن قد نزلنا عشرة طوابق، جلست أنا وهي وزوجها على السلم حتى أفحص ضغط الدم والسكر، وكان -الحمد لله- الوضع جيدًا، أكملنا الطريق وكنت أحاول طوال نزولنا إقناع السيدة بأن نعود للنزول بالمصعد، وكانت في كل مرة تقابل الأمر بالرفض تمامًا، يبدو أنه ليس أمامي غير إكمال الطريق

obeikan.com

وأنا أحمل على ظهري هذا الحمل، كنت أفكر ماذا لو كانت قد وقعت في يدي حالة أخرى غير هذه الحالة؟ ولكن قلت لنفسي لعله خير، لما نتوقف إلا عندما وجدت أننا قد نزلنا عشرة طوابق أخرى،أي بقي لنا مائة طابق، والأوكسجين الذي معي أوشك على النفاد، تحدثت بالهاتف إلى زميلي وقلت له:«أحضر لي اسطوانة أوكسجين أخرى وتعال، أنا أنتظرك في الطابق المائة عند السلم»، وبعد حوالي عشر دقائق حضر زميلي ومعه الأوكسجين،ففصلت الأنبوبة الأولى وأوصلت الثانية،وقلت لزميلي يمكنك النزول والعودة إلى مكان العمل، سألني إن كانت ما زالت ترفض النزول بالمصعد، قلت له:»نعم» تركني وقال:»الله معك،أنا ذاهب لأكمل عملي تحت، فجميع المصابين موجودون هناك، ومنهم من ذهب مع سيارات إسعاف إلى المستشفى» وها نحن قد وصلنا إلى الطابق الثمانين، يالها من رحلة! كانت لا تزال مصرة على الرفض، وها نحن وبعد حوالي ساعة من التعب والإرهاق نكمل الطريق، جلست ترتاح قليلا بعد أن أصبحنا في الطابق الستين، يتبقى ستون طابقا للوصول إلى الأرض، فحصت الضغط والسكر وكان الوضع جيداً ولله الحمد.

لقد استنفدت كل قوتي، ما عاد لدي أية قوة للإكمال، المكان حار جدًّا، تقريبا بعدما أصل سأدخل أنا المستشفى للعلاج.

«سيدتي، أرجوك، تعالي نركب المصعد».

قالت:«أنا لا أريد الذهاب، وسوف أكمل وحدي، إذا أردت أن تذهب اذهب وحدك أنت»

تحركنا مرة أخرى للوصول إلى الأرض، قلت:«لابد أن ننزل بعض الطوابق ونرتاح بعض الشيء» وكنا قد وصلنا للطابق الخمسين،«نرتاح قليلا سيدتي»،الباقي خمسون طابقًا، اللهم ألهمني القوة والصبر. جاءني اتصال من مسئولي الذي سأل: «أين أنت؟ لقد تم نقل كل المصابين إلى المستشفى» قلت له: «أنا في الطابق الخمسين» قال: «هل تريد شيئًا؟» قلت له: «أرسل لي أسطوانة أوكسجين مع زميلي» قال: «دقائق ويكون الأوكسجين عندك»، وصل زميلي بعد دقائق، وأخذت منه الأوكسجين وأكملت الطريق وحيدا فأنا لا أستطيع ترك الحالة بعد كل هذا العناء، الأمر لله، نكمل ما تبقى، هممت بالتحرك أنا مع المريضة التي يبدو عليها الإجهاد من طول النزول، وها نحن بعد عناء وصلنا إلى الطابق الثلاثين، وجلسنا نرتاح، فصحة المريضة والحمد لله بخير، بعد حوالي عشر دقائق أكملنا الطريق إلى الطوابق السفلية، قلت لنفسي: بإذن الله سوف نكمل الطريق مرة واحدة، وبعدما وصلنا للطابق العاشر قالت المريضة:«أريد أن أرتاح»، لقد مر عليّ أكثر من ساعتين من الوقت وأنا في هذا البلاغ، أكملنا

obeikan.com

الطريق بعد راحة دامت أكثر من ربع ساعة، وها نحن نفتح الباب الخلفي للمبنى ونصل إلى الأرض.

كان زميلي والمسئول في انتظاري بالأسفل، وكان يبدو عليّ التعب والإجهاد، سلمت لهما الحالة فأخذاها في سيارة الإسعاف إلى المستشفى، لا أعرف كيف وصلت إلى هنا، قلت لمسئولي:

«أنا لا أستطيع إكمال العمل اليوم» قال لي:«ما زالت هناك بعض ساعات على انتهاء عملك، ولكن يمكنك الذهاب للمنزل كي ترتاح،أعرف أنك تعبت كثيرًا مع هذه المريضة»، قلت له:«هذا هو عملي، وأتمنى أن نكون دومًا سببًا في إسعاد الناس».

●●●

obeikan.com

obeikan.com

رجل يغادر نصف ساقه معي

كنا أمام السيارة المحطمة من المقدمة بالكامل، لم أكن وحدي، كان فريق الإنقاذ موجودًا في المكان يحاول فتح السيارة وإخراج المصاب من داخلها، حملت شنطة الإسعاف مسرعًا ودخلت إلى السيارة المحطمة من الباب الخلفي، كان المصاب ساكنًا لا يتحرك، رأسه ملقاة على المقود، والدماء تغطي المكان كله، وهناك نزيف في مقدمة الرأس. أسرعت إلى تحسس رقبته فوجدت أن هناك نبضًا، حاولت أن أوقف نزيف الرأس، سمعت صوت المصاب يتحدث إلي بصوت خافت خفيف جدًّا ويقول لي:»أنا لا أشعر بقدمي، أرجوك ساعدني».

كان رجال الإنقاذ قد اقتربوا من الانتهاء من فتح السيارة،وكنت قد بحثت عن وريد لهذا الرجل، وقمت بوضع محلول ملح لتعويض فقد الدم من جسمه، ولكنني كنت أرى أن الوضع خطير، وربما حياة هذا الرجل في خطر، لقد كان مقود السيارة يضغط على قدم ذلك الرجل فلا تتحرك لأن المقود ملتصق تمامًا بكرسي السائق،أي أن الرجل قد اقتربت من الانفصال عن الجسد، لقد فتح فريق الإنقاذ السيارة بعد أن قطعوها بمقصات حديد، وكان يعوق خروج السائق من السيارة قدمه العالقة داخلها.

obeikan.com

بعد الانتهاء من قطع السيارة اقتربت من القدم حتى أرى ما حدث؛ ما أراه شيئا خطيرا، لقد انفصلت العظام تمامًا والقدم لم تعد عالقة سوء على اللحم فقط لا غير، اقترب رجل من رجال الإنقاذ من المصاب ومعه مقص حديد، وقام بقطع المقود دون أن يشعر المصاب بألم، الأمر غاية في الخطورة، قمت بتقطيع ملابس الرجل تمامًا، وشاهدت بعيني ما أتعب قلبي، الركبة لم تكن عالقة إلا بالملابس،حيث انفصلت تمامًا عن الجسد، جن جنوني، وتحركت مسرعًا وأنزلت المصاب بحذر شديد على نقالة العمود الفقري، لله الأمر من قبل ومن بعد، سحبت الركبة المقطوعة معي وحملت المريض بسرعة إلى سيارة الإسعاف، وقمت بربط الركبة من أعلى بقوة حتى أوقف النزيف الشديد الذي يخرج من شرايين وأوردة الركبة، قام زميلي بتوصيل جهاز محلول ملح آخر، كنت بين الحين والآخر أفك الرباط من على الركبة حتى لا ينقطع الدم عنها.

انطلقنا بالمصاب إلى المستشفى، و كل ما يشغل بالي:

هل يستطيع الأطباء إرجاع الرجل كما كانت أم لا؟

رحماك ربي بهذا الرجل المسكين، كنت أتفحص ضغطه فأجد أنه ولله الحمد هابط جدًّا ولكن القلب يعمل، وكيف لا يهبط وبه

obeikan.com

كل هذه الإصابات؟ جرح كبير في الرأس وقدم مبتورة، كان جهاز الضغط متصلا طوال الطريق، والوضع يزداد سوءًا، الضغط يهبط أكثر فأكثر، ربي احفظه حتى يعود إلى أهله بسلام، طلبت من السائق أن يزيد السرعة حتى نصل إلى المستشفى لأن هذا المريض يحتاج إلى نقل دم في الحال.أرى المستشفى تقترب أكثر فأكثر الحمد لله، وصلنا ونزلنا مسرعين إلى غرفة الإنعاش،أحضرت الركبة المبتورة معي وأنا ذاهب إلى غرفة الإنعاش، سلمت الرجل إلى طبيب الطوارئ وسلمت معه رجله التي كنت أتمنى أن ينجح الأطباء في إعادتها إلى جسم الرجل مرةأخرى، وفي اللحظة نفسها، وأنا لا أزال داخل غرفة الطوارئ، تم إدخال المصاب إلى غرفة العمليات مباشرة، وكان قلبي يعتصر ألماً على ما حدث لهذا الرجل المسكين.

لا أعرف لماذا في كل حادث أنقله يعرض أمام عيني شريط حياتي العملية ، وأرى كل الحوادث التي نقلتها في حياتي، وأتخيل أشكال المصابين والمرضي، يبدو أنني سوف أصاب عما قريب بحالة نفسية أو أنني سوف أخرج معاشًا مبكّرًا.

خرجت من باب المستشفى إلى سيارة الإسعاف وأنا بداخلي صراع وتفكير لا ينقطع عن هذا الرجل، وهل يستعيد قدمه مرة أخرى أم لا، خرجت وتحركت سيارة الإسعاف وعدنا إلى

obeikan.com

موقعنا على الطريق السريع. انتهى عملي في هذا اليوم بعد أن تلقيت عدة بلاغات صغيرة عادية ليس بها أية خطورة، ذهبت إلى منزلي وعدت في اليوم الثاني إلى المستشفى كي أطمئن على المصاب، وبحمد الله بعد أن قابلت ممرضة العناية المركزة وقالت أن الأطباء قاموا بعمل اللازم، حمدت الله على ما قمت به من عمل تجاه هذا الرجل كي أستحق أنأقول إنني: مسعف مع مرتبة الشرف.

●●●

obeikan.com

لم يفلح الانتحار

بعد عودتي من بلاغ نقل عادي إلى المستشفى، كنت متعبًا إلى أقصي درجة، فأنا لم أذق طعم النوم منذ أمس، بعد البلاغ ذهبت إلى فراشي وخلدت للنوم، وكنت أرتدي ثياب العمل، فنحن نعمل كما الجندي في المعركة؛ مستعدين في أي وقت، عندما تلقينا بلاغًا عن أن هناك فتاة فاقدة للوعي:

«أسرعوا، فنحن لا نعرف الحالة».

كانت هذه رسالة العمليات إلينا، وعلى الفور تحركنا إلى مكان البلاغ، راجين الله -عز وجل-أن يخفف من هول المصيبة ويكون الأمر بسيطًا.

لم يكن المكان بعيدًا إلى حد كبير، بل كان يبعد عن نقطة الانطلاق حوالي خمس دقائق بالتحديد، سابق السائق الزمن لنجد أننا أمام منزل صغير له بوابة، دخلنا بالسيارة إلى هناك، ومشينا في ممر طويل حتى نصل إلى الغرفة المقصودة، كان ذلك هو الزوج الذي يصطحبنا إلى مكان الغرفة، وصلنا إليها، ولكن عرفت أن هناك خلافًا عائليًّا بين الزوج وزوجته، وعلى أثره قامت الزوجة بإغلاق الباب من الداخل، يبدو أن الأمر ليس عاديًّا، وأنها محاولة انتحار.

obeikan.com

حاولنا أنا وزميلي التحدث إلى الزوجة، ولكن لا تجيب، ووسط تلك المحاولات نظرت من ثقب المفتاح، وإذا بي أجد أمامي امرأة ممددة على الأرض لا تتحرك، لم يكن أمامي غير كسر الباب والدخول إلى هناك بسرعة، وعلى الفور قمت بضرب الباب بالقدم أكثر من مرة، ولكن لا فائدة، استخدمت كتفي في هذه المرة، ولكن الباب مغلق بإحكام شديد، ولكن مع الأمل لا يوجد يأس، وبعد عدة محاولات انفتح الباب بعد أن تعرضت كتفي للألم من كثرة خبطها في الباب.

دخلت إلى الغرفة مسرعًا واتجهت إلى هذه المرأة أحاول أن أتحسس النبض، وكان هناك ولله الحمد نبض خفيف، وكانت إلى جوار السيدة زجاجة منظف الديتول، ويبدو أن الأمر خطير، لأن الزجاجة بها فقط نصفها، وهناك ما زاد الأمر خطورة، يا إلهي!إن هذه السيدة حامل!

أسرع زميلي والسائق لإحضار النقالة، إن الأمر لا يحتاج إلى تأخير أكثر من ذلك، وعلى الفور رفعتها أنا وزميلي على النقالة،وهي لا تحرك ساكنًا ولا تتحرك، وصلنا إلى سيارة الإسعاف بأسرع ما يمكن، وطلبت من السائق التحرك بسرعة إلى المستشفى، وقمت بتوصيل معوض لفقد السوائل لهذه السيدة، وكان حصولي على وريد لها من أصعب ما يكون، فهي ضعيفة جدًّا، وهزيلة الجسد.

obeikan.com

وصلنا إلى المستشفى في وقت قياسي، ودخلنا مسرعين إلى غرفة الإنعاش، وكان الجميع في انتظارنا،لقد أبلغتهم غرفة العمليات بما حدث، ولله الحمد وجدنا كل تقدير من قسم الطوارئ، ما أجمل هذا العمل، لا أحد يعرف الآخر، والكل يعمل وكأنهم عائلة واحدة، سبحان من جمع القلوب على قلب رجل واحد، قاموا على الفور بعمل اللازم وعمل غسيل معدة فوري، وإعطاء مضاد للتسمم، هذا بعد أن أحضرت معي الزجاجة التي شربت منها هذه السيدة، والحمد لله تم إنقاذها من الانتحار هي وجنينها.

وخرجت أنا متورم الكتف، أعاني بعض الآلام والكدمات من فتح الباب، ولكن هذا كله لأكون مسعفًا مع مرتبة الشرف.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

محل الولادة: عربة الإسعاف

هنا لابد أن أقف مع نفسي بعض الشيء، وأكتب ما حدث في هذا البلاغ بالتفصيل، دون أن أنقص أو أزيد شيئًا.

في أحد الأماكن النائية، والتي تبعد عن أقرب مستشفى بحوالي ساعتين، في هذا المكان البعيد عن الازدحام والتوتر المروري، جاء البلاغ، ليس من منزل أو شارع، بل جاء من الوحدة الصحية في هذا المكان، وكان هذه المرة لامرأة حامل في شهرها السابع، كان هناك شك في أن وضع الجنين ليس بخير، هذا كان وصف الطبيب بعد أن تسلمنا البلاغ من غرفة العمليات، وكانت تنقصه التفاصيل، كانت هذه السيدة تعاني آلاما في البطن إثر وقوعها على الأرض في منزلها.

تحركنا إلى هناك ودخلنا ومعنا نقالة الإسعاف، وكان النقل إلى مستشفى متخصص للأطفال والولادة، وصف لي الطبيب الحالة وصفًا دقيقًا، وقال إن الأمور بخير، ولكن لسلامة هذه السيدة لابد من نقلها بالإسعاف. فوضعنا السيدة على النقالة بعد أن أخذنا كل التعليمات والأوراق المطلوبة، وبعد أن تأكدنا أن المستشفى الذي سوف نذهب إليه عنده علم بهذه الحالة.

obeikan.com

الأمر الذي غير مسار البلاغ كان غريبًا بعض الشيء، فعندما وصلنا إلى سيارة الإسعاف ووضعنا السيدة داخل السيارة، حضر إلينا زوجها وقال:

«من الذي سوف يركب مع زوجتي في الخلف؟»

قلت له: «أنا وزميلي وأنت»

قال: «أنا سوف أذهب بسيارتي، ولا أريد أن يركب أحد مع زوجتي.

قلت له: «سيدي، لا يجوز، فهذه السيدة مسئولية، ولا أستطيع أن أتركها»

أخذ الرجل هاتفه واتصل بشخص لا أعرف من هو، ولكن يبدو أنه مسئول، بعد دقائق اتصل بي مديري وسألني عن المشكلة، شرحت له الأمر كاملا، قال: «أعط الهاتف للزوج»، وأخذ الزوج الهاتف وتحدث معه فترة من الوقت وجاء إلي وأعطاني الهاتف، وقال لي مديري:

«اركب أنت في السيارة وحدك، واطلب من زميلك أن يركب مع السائق» قلت: «وإن حدث شيء في الطريق، من المسؤول عنه؟»

قال: «هو من يتحمل المسؤولية»

obeikan.com

قلت لمديري: «سوف أفعل».

جلست أنا مع السيدة وجلس زميلي مع السائق، وكانت السيدة ترتدي النقاب، جلست على كرسي في آخر سيارة الإسعاف بعد أن قمت بتوصيل جهاز الضغط للسيدة، وجلست أراقب، طلبت منها عندما تشعر بأي شيءأن تبلغني، قالت:«حاضر». تحركنا وبدا الطريق طويلا وكنا لن نصل إلا بعد ساعتين، كنت أتحدث إلى زميلي من خلال نافذة بيني وبينه، وكنت ألاحظ أن زوج المريضة يمشي خلفنا بسيارته. أبلغت غرفة العمليات أنني بدأت التحرك، وجلست أكتب التقرير الخاص لهذة الحالة، وذكرت كل ما حدث، وذكرت مكالمة مديري لي،وأن الزوج هو المسئول عن كل شي حتى أكون أنا وطاقم السيارة غير مسئولين عن شيء.

بعد مرور حوالي ساعة صرخت السيدة وقالت:«من فضلك،إنني ألد، لقد جاءني المخاض»، تحركت على الفور وأحضرت الشنطة الخاصة بالولادة، لم أطلب من السائق التوقف حتى لا أقع مع الزوج في مشكلة أخرى، اتصلت بغرفة العمليات وقلت له أن يرسل سيارة إسعاف أخرى تنتظرني على الطريق، من أجل أن تحمل المولود الذي لا أعرف كيف سأقوم بإخراجه لهذه الحياة؟ ويكون محل الميلاد في جواز سفره سيارة الإسعاف!

obeikan.com

بدأ الألم يزداد عند السيدة وهي تصرخ، بدأت أرتدي الملابس الخاصة بالولادة، وسألت السيدة: «هل تشعرين بنزول الماء؟» قالت: «نعم»

قلت: «هل هذا أول مولود لك؟»

قالت: «لا، هذا هو الثالث».

نزلت عند قدمي السيدة وبدأت أحاول المساعدة في إخراج الطفل، وبدأت الرأس تظهر لي وأنا أحاول المساعدة وهي تصرخ، والصراخ يزداد، أعطيت السيدة فوطة حتى تعض عليها من أجل الألم، كانت هناك صعوبة بالغة في نزول الطفل، ولكنني كنت أستعين بربي وأقرأ ما أحفظ من القرآن، لم تكن هذه هي حالة الولادة الأولى لي، كان زميلي يتابع الأمر معي ويقول: «آسف، لا أملك من الأمر شيئًا»، بدأت بقية أجزاء الطفل تخرج شيئًا فشيئًا، يا إلهي كن معي،أنا أرتجف، ولكن ليس خوفًا ولكن رهبة من الموقف، اللهم لك الحمد، خرج الطفل بسلام، أخرجته وقطعت الحبل السري، وبدأت أتحسس نبضه، وأمسكت به من قدميه وأخذت أضرب ضربات خفيفة على مؤخرته حتى بكى، طفل جميل، نظفت فمه وشفطت منه كل الإفرازات، وقمت بلفه جيدًا في فوط معدة خصيصًا لمثل هذه الحالات.

obeikan.com

أبلغني السائق أن هناك سيارة إسعاف تقف على جانب الطريق، فقلت له حاول أن تبتعد عن السيارة التي خلفنا وتقف عند سيارة الإسعاف الأخرى حتى نسلمها الطفل، وبالفعل فعل السائق ذلك، لابد لي أن أسلم الطفل حتى أستطيع أن أعتني بالأم، فأنا من بعد الولادة لم أفعل شيئًا لها، حتى أنني تركت المشيمة ولم أخرجها، كنت قد أعطيت الأم طفلها حتى تحتضنه.

وقف السائق بجوار سيارة الإسعاف الأخرى، وجاء فريقها، وكانت ممرضة وممرضا، فهذه السيارة مجهزة لمثل هذه الحالات، جاءت الممرضة إلي ومعها صندوق لحمل الطفل، وعلى الفور تسلمته مني بعد أن تأكدت من سلامته وفحصه، وانطلقنا معا بسرعة قبل أن يصل الزوج إلينا، كان اهتمام غرفة العمليات بالأمر شيئًا ملحوظًا ويستحق التقدير والاحترام، اقتربنا من المستشفى حيث بقي حوالي ربع الساعة، عدت إلى السيدة وقلت لها:

«نحن نقترب من المستشفى، وأنا بعد إذنك لن أفعل شيئًا حتى نصل» قالت:«لا توجد مشكلة»، قلت لها فقط سوف أقول بوضع إبرة ومغذ لتعويض الدم المفقود في الولادة، وفحصت الضغط والسكر، والحمد لله الوضع مستقر، وها نحن ندخل من باب المستشفي ونأخذ مكانًا أمام الطوارئ.

obeikan.com

نزلت مسرعًا، وكان بعض الأفراد من الطوارئ في انتظاري عند الباب،أخذنا السيدة على الفور إلى الداخل، إلى غرفة الولادة لإكمال ما بدأت داخل سيارة الإسعاف، وأخذوا الطفل فورًا إلى قسم الحضانات لفحصه من قبل طبيب الأطفال حديثي الولادة، سلمت الحالة وخرجت على الفور، وقابلني عند الخروج الزوج، لم أتحدث معه في شيء، ولكنه شكرني.

توجهت إلى سيارة الإسعاف، فهناك عمل ينتظرني، وبعض الأدوات التي استعملتها لابد من تعويضها، واتصلت بمديري وشرحت له ما حدث، انتهت المكالمة ولكنها لم تكن الوحيدة ولا الأخيرة، بعد دقائق جاءني هاتف من غرفة العمليات يخبرني أن كل من يعمل هنا يتوجه إليّ بالشكر على ما فعلت، وأن ما فعلت عمل يشرف الإدارة كلها.

قلت له: «سيدي، الأمر لا يحتاج إلى الشكر، فهذا عملي وواجبي، ولست أنا من تعبت وحدي». أنهيت المكالمة، ولم تمض إلا دقيقة وتحدث إليّ المسئول المباشر، وقال الكلام نفسه.

كنت في هذه الأثناء في طريق العودة إلى مقر عملي، و كل ما أفكر فيه هو أنني أريد أن أنام، وبالفعل، لم تمض سوى دقائق ولم أذكر شيئًا غير أنني موجود بالفعل في مكاني،غلبني النعاس حتى وصلت.

●●●

obeikan.com

كلمة

بين الحياة والموت فاصل زمني قصير، لا يدرك صعوبته إلاّ الذي تعرض له، كغريق يتناقص الأكسجين في رئتيه ويضيق تنفسه تدريجيا.

يدخل الإنسان في نفق يطول كلما مر عليه الوقت، ويزداد ظلاما، يفقد الأمل شيئا فشيئا، حتى تبرز له يد ملائكية يجعلها الله سبباً في إعادته إلى عالم الأحياء مجددا،يد المسعف.

في الولايات المتحدة وأوروبا يعامل رجل الطوارئ خصوصا المسعف، كبطل حقيقي، وكم من أفلام سينمائية مبهرة تناولت حياة رجال الإسعاف وكشفت الجوانب الإنسانية العظيمة للدور الذي يقومون به في الحياة، لكن تختلف الصورة نسبيا في دول العالم الثالث، إذ يتعرض أحيانا لمضايقات وعرقلة أثناء أدائه واجبه.

في هذا الكتاب يصطحبنا نادر السعيد في جولة إنسانية روحانية داخل سيارة الإسعاف، ينقلنا معه إلى عوالم أخرى، تختفي فيها الماديات ويبقى فقط الإنسان، مجردا من ماله وقوته وأهله، مسلماً نفسه وحياته لشخص لا يعرفه.

obeikan.com

يتباهى كثيرون بمناصبهم ووظائفهم وجاههم وسلطانهم، لكنني شخصياً أعتقد أن هؤلاء جميعهم أقزام أمام رجال الطوارئ، مثل المسعفين ورجال الدفاع المدني والشرطة، فأية رسالة إنسانية يمكن أن يحملها أحدنا في حياته أفضل من إنقاذ روح أو المساهمة في إعادة أب إلى أسرته، أو أم إلى أطفالها أو ابن إلى أحضان ذويه.

يروي نادر السعيد تجارب حقيقية يستحق كل منها أن يكون فيلما سينمائياً، أو حلقة في مسلسل درامي شيق، ويجبرك على الشعور بالشفقة حياله حين تدرك حجم الضغوط التي يتعرض لها وزملاؤه في إنقاذ حياة إنسان يوشك على الوفاة، ويدفعك كذلك إلى أن تغبطه على سعادته البالغة حين يتمكن من إعادة مصاب إلى عالم الأحياء.

محمد فودة

الكاتب الصحفي

بصحيفتي الإمارات اليوم والمصري اليوم

obeikan.com

الخاتمة

كيف يفكر الشخص الأخلاقي؟

يفكر طوال الوقت في التاريخ ودور الفرد فيه ثم يأتي تعبيره عن ذلك التفكير متوافقا مع روحه المثالية ويختار من الحوادث البشرية ما يدعم ذلك التفكير . وهو ما يمكن تسميته بالمعنى الإجابي بمرض العبرية وهو مصطلح يشير إلى غياب الحدود بين الذات والآخر وأن الذات تستشعر أن ما يحدث للآخر، إنما يحدث لها، والعكس صحيح، وحتى لا تتوه مني أجب عن سؤال.. لماذا يبكي مسعف تعود التعامل مع الجثث كل يوم، ومع مفارقات القدر وحكمته الغامضة امام رجل فقد ابنه؟ ولماذا يجبر نفسه على النزول مع مريضة بفوبيا المصاعد مسافة مائة طابق؟ ولماذا يبقى بعد انتهاء دوامه للاطمئنان على شاب مهدد بفقد نصفه الأسفل وهو ليس معرفة سابقة ؟وما ضره لو نام بعد تعب؟ وترك المريض ليد أخرى محل ثقة؟ إنها الروح الأخلاقية التي تلزم الفرد بمثالية فوق طاقته.

obeikan.com

الغريب أن حوادث الحياة تتكاتف، واللحظات المكثفة التي تفصل الحياة عن نقيضها ترسخ ايمان الشخص من هذا النمط الإنساني بما قرر من اخيارات واقعية وان ظن انه دخلها مصافة أو قدرا، على انه في هذه القصص الإنسانية برهافة موضوعها، وبساطة سردها ما يشي بأن تحت سطح المجتمع الهادئ نماذج بشرية تصلح موضوعا لمحللي علم النفس، كحالة من تدخل زوجته حالة خلق روح انسانية جديدة ومنح الدنيا امتدادا آخر، ذلك الزوج الذي رفض ان يجلس غيرة جوار زوجته وهي تلد، حتى لو كان طبيبها، وامر مثل هذا يخرج من مجال المحافظة الأخلاقية، إلى مجال سسيولوجيا الفناء، هل كان يمكن لعالم نفس أو اجتماع ان يعثر على هذا النموذج حتى لو افنى عمره كله؟ انها فقط براءة الكتابة التي كشفت لنا دون ان تقصد مفارقات تجمع العصور الانسانية كلها متجاورة في عصر واحد.

لو أنني تكلمت عن كتابة نادر مباشرة لوقعت في فخ التقريظ وهو ما لا أقبله لنفسي أو له، إنما أردت من هذه الكلمة كشف ما يقف وراءها من دوافع اخلاقية، ومنزع مثالي، ولماذا غادر عالمه الأثير أي الشعر فن التجميع والتكثيف إلى مجال السرد حيث التشظي والصور الناقصة والمشاعر المبتورة ومقاومة الحياة لعوامل الفناء، وأسارع فأقول إنني لم يسبق ان تحمست لكتاب

لمجرد فكرته دون النظر إلى طريقة غزله وبنائه، لكن فكرة هذا الكتاب طريفة وغير مفكر فيها، وتغفر ما قد يشوبه من قلة دربة.

استاذ مصطفي عبادة

مؤسسة الاهرام

obeikan.com

obeikan.com

الفهرس	الصفحة

إهـداء:.....	٥
تقديم:.....	٧
مقدمة:.....	٩
المسعف والإسعاف:.....	١١
بين الحياة والموت:.....	١٩
الثراء القاتل:.....	٢٣
مات لأنه عاش:.....	٢٧
بين العقل والجنون:.....	٣١
أجمل قتيلة:.....	٣٧
سرعة الإسعاف ليست الأهم:.....	٤١
أم تصارع من أجل البقاء:.....	٤٥
يخرج الحي من الميت:.....	٤٩
المريض الضخم:.....	٥٣
عند المنفذ:.....	٥٧

obeikan.com

الوادي المظلم:..... ٦١
اختلاس:..... ٦٥
عامل البناء بين الموت والحياة:..... ٧٥
البلاغ لا يحتاج هليكوبتر:..... ٨١
بلاغ داخل البلاغ .. قتيل ومصاب:..... ٨٥
بلغ العمر .. ليس غرقًا فقط:..... ٨٩
أنا والمصاب نحتاج إلى إسعاف! :..... ٩٣
نصف المصاب يحتاج إلى إسعاف:..... ٩٧
المصعد لا يعمل:..... ١٠٥
رجل يغادر نصف ساقه معي:..... ١١٣
لم يفلح الانتحار:..... ١١٧
محل الولادة: عربة الإسعاف:..... ١٢١
كلمة:..... ١٢٧
الخاتمة:..... ١٢٩

obeikan.com

obeikan.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikan.com